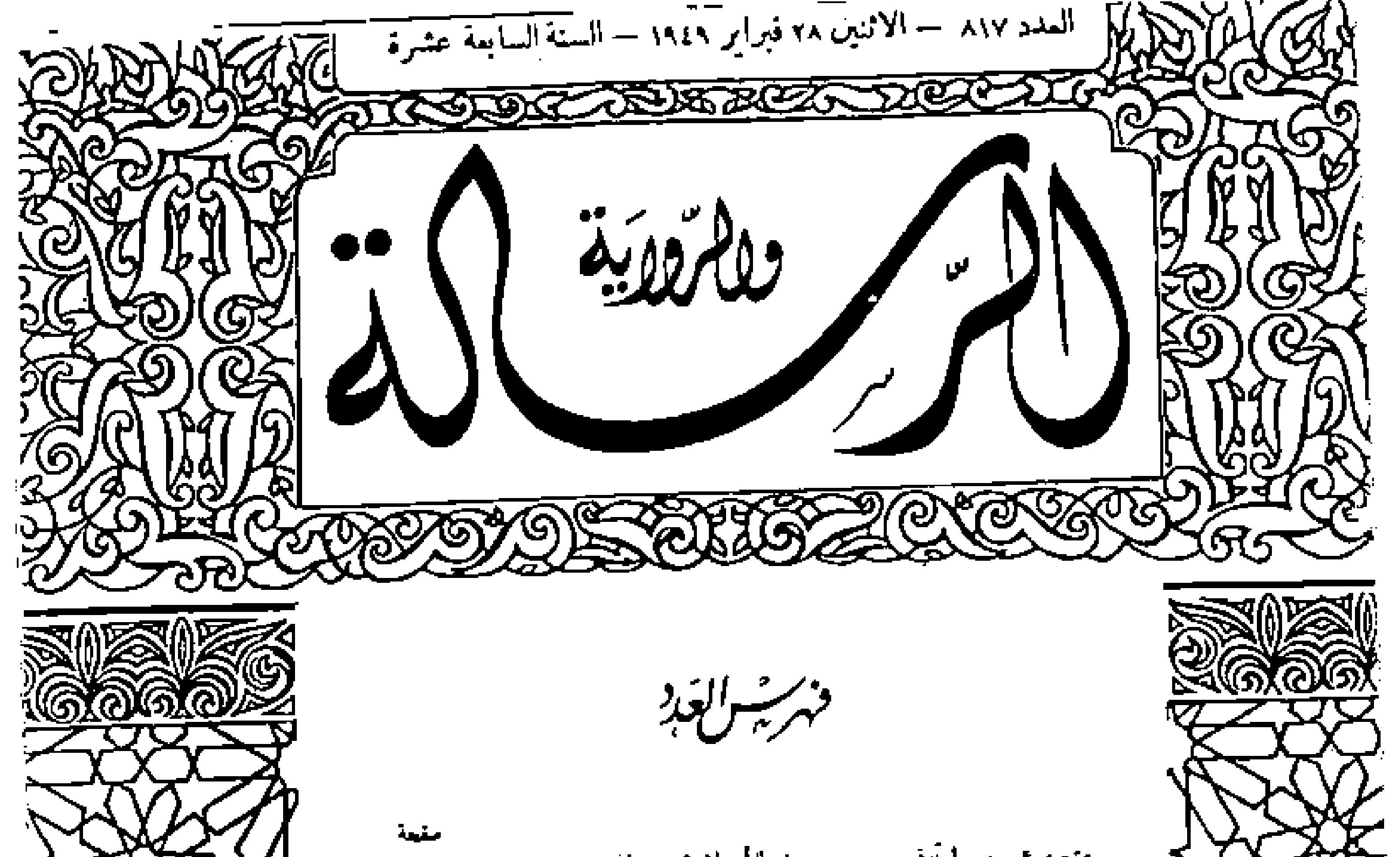
العدد ٨١٧ — الاثنين ٢٨ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

١٨ • ٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 me Année No. 817

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi — 28 — 2 — 1949

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشروع مولوتوف

للأستاذ عمر حليق

في الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٤٩ أعلنت موسكو نبأ تأليف اتحاد اقتصادي للمنفعة المشتركة في منطقة النفوذ السوفياتي ليعمل علانية على مكافحة مشروع مارشال الأمريكي للانعاش الأوربي . وقالت وكالة الأنباء الروسية الرسمية (تاس) التي أذاعت الخبر أن المشروع الروسي الجديد جاء نتيجة لمؤتمرات عدة عقدتها في موسكو الدول الملاينة لروسيا في أوائل السنة الجديدة ؛ وأن هذه الدول « التي رفضت الانصياع لدكتاتورية مشروع مارشال » قد أنشأت فيما بينها « مجلساً للمساعدة الاقتصادية المتبادلة لتدعيم التعاون الاقتصادي أكثر فأكثر » بين بعضها وبعض . وقالت تاس كذلك إن عمل المجلس الاقتصادي هذا سيتناول « تبادل الخبرة الفنية والاقتصادية » بين الدول المشتركة فيه ، و « تقديم المعونة المتبادلة للحصول على المواد الخام والمواد الغذائية والآلات الصناعية وما إليها » وأن المجلس سيجتمع دورياً ، وأنه يرحب بكل من يرغب في الانضمام إليه من الدول الأوربية التي تدين بالمبادئ التي يدين بها مؤسسوه

والمشتركون في هذا المشروع غير الروس خمس دول في منطقة النفوذ السوفياتي وهي رومانيا وبولنده وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا . وقد تركت يوغوسلافيا — وخلافها مع موسكو قد اتسعت شقته — خارج هذا المجلس .

قبل سنة ونصف أي في منتصف عام ١٩٤٧ ، خرج الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في اجتماع مجلس وزراء الدول الأوربية بباريس غاضباً . وكان موضوع البحث بين روسيا وفرنسا وبريطانيا في ذلك الاجتماع مشروع مارشال الأمريكي لإنعاش اقتصاديات أوربا . وقد أصدر مولوتوف عقب انسحابه تصريحاً قال فيه : إن الاتحاد السوفياتي قد رفض المشاركة في المشروع الأمريكي المقترح لأن أمريكا لا تتوخى إنعاش أوربا بل تريد تقسيمها وبث الشقاق بين دولها .

وتبع تصريح مولوتوف هذا بيان من (البوليت بيرو) القيادة العليا للسياسة السوفيانية اعترف فيه الروس بأن مشروع مارشال هو أكبر تحد يواجه الاتحاد السوفياتي .

وعلى أثر ذلك شرع الروس في اتخاذ خطوات عملية في ميادين السياسة والاقتصاد لمكافحة مشروع مارشال . وكان أبرز هذه الخطوات في مجال السياسة تأليف (الكومنفورم) وهو المركز الرئيسي الرسمي للشيوعية الدولية (وكانت روسيا قد حلته خلال الحرب) وجعلت قيادته المركزية في العاصمة البلغارية ، وتلا ذلك نشاط عسكري في مناطق الثورات الشيوعية في اليونان والصين واتخذت المساعدة السوفياتية ليهود فلسطين دوراً عملياً لم يشعر العرب بخطورته إلا بعد سنة من استمراره .

ولم تقتصر روسيا في إجابتها على تحدي مشروع مارشال على

هذه الخطوات السياسية والعسكرية ، بل أردفتها بنشاط اقتصادي تدريجي شبك الروس فيه اقتصاديات دول شرق أوربا بعضها ببعض ثم ربطتها جميعاً بالاقتصاد السوفياتي . وهذا في الواقع عملية ابتدأت روسيا بالعمل بها منذ أن احتلت شرق أوربا أثر تراجع الألمان عنها في عام ١٩٤٥ ، وكانت وسائل موسكو لتحقيق هذه السيطرة الاقتصادية سلسلة من المعاهدات التجارية وركزت الإنتاج الصناعي والزراعي في منطقة نفوذها في بوتقة التبادل التجاري الإقليمي . وقطعت دول شرق أوربا الجزء الأكبر من معاملاتها التجارية مع أوربا الغربية والعالم الخارجي إجمالا . ثم جعل الميزان التجاري في جميع الدول الشيوعية المتحالفة متمشياً مع رغبات الاتحاد السوفياتي الذي أصبح بحكم هذا التوجيه وما له من سيطرة ونفوذ سياسي ، العنصر السياسي في الكيان الاقتصادي في شرق أوربا وهي جزء من العالم يضم ست دول تبلغ مساحتها حوالي عشرة ملايين ميل مربع وعدد سكانها ٢٦٢ مليوناً من الأنفس .

واستمر نشاط الروس في منطقة نفوذهم لتدعيم النظام الشيوعي ومكافحة الغرب الانجلوسكسوني في ميادينه الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وظل العالم الخارجي لا يعلم إلا قليلا عن مدى اتساع هذا النشاط ومبلغ نجاحه بسبب الرقابة السوفياتية الشديدة . ولكن المتتبعين للشؤون الروسية قدروا بأن جواب موسكو على مشروع مارشال الذي أحرز قسطا من النجاح للغاية التي وضع من أجلها — جواب روسيا سيكون من نوع التحدي . وقال الخبراء بأحوال منطقة النفوذ السوفياتي إن هناك خططا اقتصادية منسقة يعمل لها السوفيات بالتعاون مع الحكومات الشيوعية القائمة هناك . وكان هؤلاء الخبراء يطلقون اسم « مشروع مولوتوف » على النشاط السوفياتي . وفي الأشهر الأخيرة كاد العالم ينسى أن هناك شيئاً اسمه مشروع مولوتوف ، لندرة ما تتناوله الألسن ، على عكس الدعاية الواسعة التي يلقاها مشروع مارشال في الصحافة العالمية — أو صحافة الحلف الغربي على الأقل . إلى أن نقلت وكالة تاس نبأ تأليف المجلس الاقتصادي الجديد .

هذا المشروع السوفياتي الجديد ، مجاله منطقة جغرافية غنية بالمواد الخام من الفحم والحديد والزيت لا يزال معظمها في باطن الأرض ، إذ لا تتوفر لدى دول شرق أوربا الوسائل الآلية الحديثة ولا رأس المال ولا الخبرة الفنية لاستخراجها . فالخبرة في الإنتاج والتعدين ، ومدى التصنيع في شرق أوربا إجمالا قاصر عن اللحاق بالحضارة المادية المتفوقة التي عرفت بها دول أوربا الغربية والعالم الجديد . ولذلك فإن الخبراء في العالم الإنجلوسكسوني يعتقدون بأن هذا المشروع الروسي الجديد سيقتصر على تنسيق المعاهدات التجارية بين الدول الشيوعية ، وأنه لن يسعى لتنفيذ برامج اقتصادية ضخمة تتناول التصنيع وتدعيم التبادل النقدي وغير ذلك من أوجه الاقتصاد التطبيقي على النحو الذي يعمل له مشروع مارشال في غربي أوربا وشمالها وجنوبها .

ويضيف إلى ذلك هؤلاء الخبراء — أن العقبة الكبرى التي تقف في وجه المشروع الروسي الجديد ، حتى ولو اقتصر على تنسيق التبادل التجاري ، هي أن منطقة النفوذ السوفياتي لا تشكل كتلة طبيعية تستطيع موازنة التبادل التجاري . فليس في الكتلة السلافية سوى تشيكوسلوفاكيا من يستطيع أن يؤمن تبادلا تجاريا صالحا ؛ ففي تشيكوسلوفاكيا صناعات ثقيلة تستطيع أن تبادلها مع حاصلات روسيا الزراعية أو حاصلات الدول الشيوعية الأخرى ومعظمها زراعي كذلك .

وكانت هذه الدول قبل أن تنصهر في الكتلة السلافية تتبادل النسبة الكبرى من محاصيلها الزراعية مع ألمانيا ودول أوربا الغربية المعروفة بوفرة الإنتاج الصناعي .

وليس للدول الشيوعية في منطقة النفوذ السوفياتي الآن سوى روسيا لتتبادل معها الإنتاج الزراعي بإنتاج صناعي يسد حاجتها . ويعتقد الخبراء الإنجلوسكسون أنه ليس لدى الاتحاد السوفياتي وفرة في الإنتاج الصناعي ما تسد حاجات حلفائه في شرق أوربا بسبب مشروعات الخمس سنوات الإنشائية التي تحدد طاقة الإنتاج الروسي وتوزعه على مطالب الشعب الروسي قبل كل شيء . وفوق ذلك فإن وفرة الإنتاج الزراعي في روسيا نفسها من القمح الأكراني والمواد الغذائية الأخرى يجعل شراءها للمنتجات الزراعية من الدول الخاضعة لنفوذها ، نوعا من الإحسان لا يستند إلى دعائم اقتصادية سليمة .

وهنا تتدخل لايف مكسس فيقول خبراؤها إن الدول التابعة لمشروع مولوتوف الروسي ، والدول المنضمة لمشروع مارشال الأمريكي ، سيرغمان في نهاية الأمر على تبادل التعاون . فإن الكيان الاقتصادي الذي تحاول موسكو تدعيمه في شرق أوربا هو كيان زراعي ؛ وإن الانتعاش الذي يحاول الإنجلوسكسون

الغزى الشاعر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

هو شاعر من كبار شعراء العرب عاش في القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ورحل إلى الشرق فأمضى معظم عمره في الأسفار، ونشر شعره بالعراق وخراسان. وكان أحد شعراء العربية الثلاثة الذين عرفتهم بلاد العجم في القرنين الخامس والسادس - وثانيهم أبو المظفر الأبيوردى الأموى شاعر العربية في القرن الخامس، والثالث الأرجانى الذى عاش من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٥٤٤

ولد الغزى في غزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة. وفارق وطنه في سن الأربعين فدخل دمشق ورحل إلى بغداد. وأقام في المدرسة النظامية سنين كثيرة. ومدح ورثى كثيراً من المدرسين بها — ثم رحل إلى خراسان ومات بها في طريقه من مرو إلى بلخ سنة ٥٢٣. ونقل إلى بلخ فدفن بها.

وقد تحدث المؤرخون عن كثرة أسفاره فقال ياقوت في معجم البلدان: سافر الدنيا. وقال صاحب الخريدة: جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان.

وقد ذكر هو أسفاره في مواضع من شعره. يقول:

كم بلدة فارقتها فوجدت في   أخرى مُراداً مكثباً ومَرادا
وتركتها ربداء كالظلم التي   يلبسن من فقد البدور، حدادا
إن كنت سرت عن العراق مؤنبا
جيبـا فلست بشاكر بغدادا
فتى أنام وهمتى فوق السها   أو يستطيع لى الزمان عنادا

ويقول:

كم لبسنا أمتن السوابغ ذيلا   وطرقنا أحمى القبائل جارا

تحقيقه في باقي أوربا هو كيان صناعى؛ وإن تشابك السياسة والاقتصاد في الحياة الأوربية والدولية إجمالا ليس من السهل القضاء عليه. ولذلك فإن خبراء لايك سكس يعتقدون بأن التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفيانى ومنطقة الحلفاء لن ينقطع ما دام أن كلا المعسكرين ليس في صراع مسلح، وهذا الاتصال التجارى أحد السدود التي تقف في وجه اندلاع لهيب جديد

(نيويورك)   عمر مليون
معهد الشئون العربية الأمريكية

تخلونا بالعاصرية والخيل صيام والحلى ما شب نارا
وانكفانا والفجر يعطس والريح تدق بذيلها الآثارا
وشهدنا الوغى وقد رتق النقع فتوق الآفاق والأمصارا
ولقينا الملوك عربا وعجما   وحملنا على الجزيل صغارا
وسهونا عن قص أجنحة الدهر ربما يصلح المعاد قطارا

وكأنه في هذه الأبيات يجمل سيرته، ويذكر خلاصة ماضيه وتجاريه.

ويقول في أبيات أخرى.

وطامسة ترى الخرّيت فيها   كأمى تداوله كتابا
لبست قتامها وخرجت منها   خروج مهند سُلب القرابا
بسير يحرق النار اشتعالا   وعزم يسبق الماء انصبابا
وما قل متقدٌ وأمت   بناثة كل منتحل عتابا
وأصبح منسم الدنيا سناما   وخر الرأس وارتفع الذنابى
شمخت بأنف فضل عن سوام   يضم أسود بيشة والذئابا
وكم أرسلت من مثل شرود   سرى في ظهر قافية جنابا

مدح الغزى كثيراً من أمراء الشرق وملوكه، كبنى نظام الملك، والسلطان سنجر بن ملكشاه.

وفي شعر الغزى، كالابيوردى والأرجانى — وهم عرب خلص عاشوا في إيران وما يتصل بها في ذلك العصر وقد حييت اللغة الفارسية وازدهرت آدابها — في هذا الشعر مجال واسع لتأريخ الأدب العربى وقياسه بالآداب الأعجمية التى نشأت في حضانته وتحت سلطانه، وبيان مكانته في تلك الأقطار.

وفيه كذلك إبانة عن نزعات شعراء العرب في الأقطار الأعجمية واعتدادهم بأصولهم وتشوقهم إلى أوطانهم.

وقد سبق أبو الطيب المتنبى إلى الحنين إلى الشام، وافتقاده بنى قومه حينما رحل إلى فارس أشهراً قليلة مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة فقال:

أحب حمصا إلى خناصرة   وكل نفس تحب محياها

وذكر مواطن لهوه في تلك الأصقاع. وقال أيضاً في وصف شعب بوان:

ولكن الفتى العربى فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

وافتقد ما ألف في دمشق من ضيافة فقال:

ولو كانت دمشق ثنى عنانى   لبيق الثرد صينى الجفان

وأما الأبيوردي الشاعر الأموي فكان لسان العرب في القرن الخامس. أشاد بمجدهم وتمدح بأخلاقهم وحن إلى أوطانهم وهو لم ينشأ بها، ولم يعش فيها إلا قليلاً في العراق، حتى سمى قسماً من ديوانه النجديات.

وهذا أبو إسحق الغزي تعاوده ذكر غزة وباديتها، وبلاد العرب، فيعرب عن شوقه وحنينه.

وكما أشاد أبو الطيب بالبداوة حين قال:

ما أوجه الحضر المستحسنات به   كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة   وغير ناظرة في الحسن والطيب
أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها   مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

أولع الأبيوردي ببوادي العرب وكرر ذكرها والإشادة بالعيش فيها.

ومن قوله في هذا:

ويعجبني نفح العرار وربعا   شمخت بعرنيني وقد فاح عنبر
ويخدش خدي بالحمى صفحتا الثرى   إذا جـــر من أذياله المتعصفر
وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى   وورد بعيق اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته   على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يشتو للقرى   ويسري إليه الطارق المتنور

يفخر في هذه الأبيات بالبداوة، ويشيد بما يعير به الأعراب من أكل الضباب فيقول:

وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى في هذه البادية العزيزة الكريمة حيث تستحكم الشجاعة والسخاء.

وكذلك الغزي يحن إلى البادية بين الحين والحين. ويذكر قبائل العرب ويمدحها ولكنه أقل من الأبيوردي حماسة وحنيناً؛ يقول:

أين أيامنا بغزة والعيش   نضير والدهر رحب المجال
ومزايا حسن البوادي تراد   بهلال في حـــلة من هلال

أي بإنسان كالهلال حسناً في حلة من بني هلال.

ويقول في تفضيل البدو على الحضر.

وغضة العين يحمي حسنها خفر   ولا خفير لميْن الحسن كالخفر
سجية في البوادي لا أخل بها   والبدو أحسن أخلاقاً من الحضر
قوم كأن ظهور الخيل تنبتهم   وما سمعت بأنبات بلا مطر

لا يعبر الطيف يسري في منازلهم   مهابة خيمت في مطرح الفكر
لما رضوا بشفار البيض معتصماً   عزوا فما احتاج جارهم إلى وزر

ويقول:

وأروح ما يكون هوى البوادي   إذا رفعوا على العيس القبابا
تمير بكل جارحـــة حشاها   أســـود يتخذن السمر غابا

***

ثم الغزي بعد وقور في شعره حكيم، يصوغ الحكم والمواعظ، ويضرب أمثالاً من تجاربه وما لقي من غير الزمان. وهو في هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها. وهو مهما يفتن في ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء نزعته إلى الزهد، وابتئاسه بأحداث الدهر، وقد عاش الرجل أكثر من ثمانين عاماً، وطوف في البلاد كثيراً فرأى وسمع وجرب ملء الأزمنة التي عاش فيها والأمكنة التي أقام بها.

أنظر إلى قوله:

لا تعجبن لمن يهوى ويصدق في   دنياه فالخلق في أرجوحة القدر

وقوله:

ما الدهر إلا ساعتان: تعجب   مما مضى، وتفكر فيما بقي
ولكل شيء مدة فإذا انقضت   ألقيتـــه وكأنه لم يخلق
والمرء أتعب ما يكون إذا ابتغى   سعة المعيشة في الزمان الضيق

وهنا يظهر الفرق بين الغزي القنـوع والأبيوردي الذي لا تسع الدنيا همه ومطلبه. ويقول الغزي.

هلا نكرت شبابي وهو أغربة   للبين معربةٌ عن غربة السفر
ليت البياض الذي زال السواد به   أبق لنا منه ما في القلب والبصر
قـــد ضقت ذرعاً بعيش لا يسوغ ولا   تعجه النفس حتى عيـــل مصطبري
فلست حياً ولا ميتاً، ولا دنفاً   ولا صحيحاً، جميع الداء في الكبر

***

الغزي جدير بعناية أدباء العربية لبلاغة شعره وما فيه من معان قيمة وحكم عالية، ثم لما في سيرته من تبصرة بأحوال البلاد الإسلامية في ذلك العصر، وأحوال الأدب العربي في بلاد العرب والعجم.

وديوانه جدير بالتصحيح والنشر. وقد أدرج كثير من شعره غلطاً في ديوان الأبيوردي. ولا بد من نشر الديوانين قضاء لحق الشاعرين، بالعناية بشعرهما وسيرتهما.

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

انتقـــــام

للأستاذ كامل محمود حبيب

دعني – يا صاحبي – أنفض أمامك جملة حال ، فما في حديثي ما تضيق له النفس ولا ما ينزعج له القلب . هـذا أمري وما كان لي الخيرة منه وإني لأضطرب بين نوازع جياشة لا تهدأ ولا تستقر .

تعال – يا صاحبي – واجلس إلى جانبي وألق إليّ السمع ، ثم لا تلمني فأنا تجربة قاسية من تجارب الحياة ...

صفعتني الأيام في غير شفقة ولا رحمة – أول ما صفعت – حين ماتت عني أمي طفلاً أدرج في فناء الدار ، لا أكاد أعي من أمر الحياة شيئاً ، ولا أكاد أنأى عن حضن أبي إلا ريثما أعود إليه أجد فيه الحياة والدفء والحنان جميعاً ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل . وافتقدتُ أمي حين افتقدت القلب الذي يسعدني وأطمئن إليه ، وحين غاضت الابتسامة الرفافة الساحرة التي تجذبني وتحنو عليّ ؛ فرحت أسأل عنها في شوق وأبكي بُعدها في حزن ، وأهلي من حولي يوهمونني بأن أمي ذهبت إلى القاهرة تطب لمرضها . وعجبت أن لا أجد لها شبيهاً في مَن أرى . فهذه عمتي وهذه خالتي وهـذه وهذه . . . لا أحس في واحدة منهن معنى الأمومة ولا ألمس روح الحنان .

واشتد شوقي إليها وألحّت بي اللهفة إلى رؤيتها ، ثم انطوت الأيام وعبرتي ما ترقأ وحنيني ما يخبو .

وصحبتني جدتي لأبي – ذات ليلة – إلى دارها ، وأرادتني على أن أستحم وجاءت هي تزيل عني أوساخ الإهمال وغبار أقذار الشارع ، تدهن شعري بالزيت وتضمخ جسمي بالعطر ثم تلبسني الحرير في رفق وتلفني في الدمقس في عناية .

يا عجباً ! ما لوجه هذه العجوز الشمطاء يفيض بشراً وإشراقاً وما لها تتزين وتتطيب كأنها في ليلة زفافها !

وسألتها ما الخبر ، فقالت : « يا بني ، غداً ستذهب لترى أمك في بيت أبيك » وثب قلبي طرباً وطار عقلي سروراً ، وشغلتني طفولتي فما أستطيع أن أكتم دوافع نفسي ، فذهبتُ أملأ الدار ضجيجاً وصخباً ، أغني وأصيح وأنادي وأقفز وأجري ، ويكاد إهابي ينشق نشاطاً على حين يفيض قلبي فرحاً . غداً سأرى أمي ! وا فرحتاه ! وذهبتُ أهيئ نفسي للقيا الحبيبة أتزيّن وأتأنق وأقف أمام المرآة أتحسس ملابسي وشعري وحذائي . ونامت العجوز وأنا إلى جانبها لا يجد النوم إلى عينيّ سبيلا ؛ والأخيلة الجميلة البسامة تتوزعني وأنا بينها لا أحس معنى الزمن ولا يضنيني السهر وقد مضى الليل إلا أقله .

وفي الصباح اصطحبت بجدتي أتبعها وأتعلق بثوبها ، أستنجزها ما وعدت وهي تستمهلني ، والساعات تنطوي . والأمل يخبو في نفسي رويداً رويداً حتى تغشاني الوجوم والأسى وبدت عليّ الخيبة وضياع الأمل . وعند الظهر قالت لي جدتي : « الآن ، نذهب لترى أمك » .

وذهبتُ إلى دار أبي ، إلى جانب جدتي ، أختال في الحرير والدمقس وأزهو في طفولتي وعطري وأرنو هنا وهناك وقلبي يخفق في شدة وعنف ، تُرى أين كانت تتوارى أمي ، أحقاً كانت تطب لمرضها في القاهرة ؟ ودخلت حجرة واسعة من حجرات الدار فإذا عبير المسك يتضوع في نواحيها وتفوح في جنباتها روح العطر . لقد تأنقت الحجرة في زينتها وتبرجت في أثاثها فهي تخطف البصر وتخلب اللب . وأخذتُ أقلب البصر في أرجاء المكان فما رأيت المرأة الجالسة في أقصى الحجرة إلا حين قالت جدتي العجوز « هـذه أمك » واندفعت أنا إليها ألقي بنفسي بين ذراعيها وأدفن وجهي في حجرها لأستشعر الحنان والعطف وقد فقدتهما منذ زمان .

وألقيتُ بنفسي في حجرها ولكني لم أحس بذراعيها تنفرجان لتضماني ولا بنفسها تستبشر للقائي ولا بقلبها ينبض لمقدمي ؛ فرفعت بصري إلى وجهها أحدّق فيه ، واستلبتني الدهشة والحيرة من حياء الطفولة فأرسلت من بين شفتيّ صرخة مدوية وأجهشت للبكاء ثم رجعت إلى الوراء في فزع ، وجريت صوب الباب لأن هذه المرأة لم تكن أمي . وشعرت بأنني أحتقر جدتي وأمقت المرأة التي زعموا أنها أمي .

وألفيتُ أبي لدى الباب فربّتَ على كتفي في حنان وضمني إليه في عطف وقال : ما بالك ؟ قلت : مَن عسى أن تكون هذه المرأة ؟ قال : هي أمك . قلت : لا . قال : ألا تعلم أن لك أمّين واحدة في القاهرة وهـذه هنا ! قلت : فما لي لم أرها من قبل ؟

وتلعثم لسان أبي وماتت الكلمات بين شفتيه ، وبدا لي أن أبي كذاب فشعرت بأنني أحتقره وأمقته .

آه ، لقد انطوى صدرى على كراهية أبي وجدتي والمرأة التي زعموا أنها أمي .. كرهتهم جميعاً لأنهم كذبوا .. وأحسست بالأسى يتدفق عارماً إلى قلبي . وجرفني الحزن حين أيقنت بأني فقدت أمي إلى الأبد .

وحين رأتني زوجة أبي قذى في عينيها اتخذتني هدفاً لغضبها ونورتها وعشت في الدار ضائعاً لا أنوز إلا بفضلة مما يترك الخادم . حينذاك أرسلني أبي إلى المدرسة في المدينة ودفع بي إلى خادم يقوم على أمري فكان هو أبي وأمي وجلادي ، فهو أب لا يعرف الرحمة وأم لا تعرف الحنان وجلاد لا يعرف الشفقة . وعشت هناك أشعر بالغربة فأبي لا يزورني إلا لماماً إرضاء لزوجته ، وهو إن فعل لا يحبونى بعطفه ولا يهش للقائي ولا يتبسط معي في الحديث ولا يهتم بحاجاتي ولا يعني بطلباتي ، ومرت الأيام وهو ينأى عني رويداً رويداً حتى أصبح غريباً عن نفسي وعن قلبي في وقت معاً . وأغص بالحرمان فالخادم ينعم وحده بمال أبي وأنا لا أنال قرشاً واحداً أشترى به بعض ما يشترى أترابي . وأشرق بالهانة فأنا أغدو إلى المدرسة وأروح في ثياب مضطربة قذرة مهلهلة على حين أن رفاقي يرفون في الجديد والنظيف . وأحس بالضعة فما أستطيع أن أدفع عن نفسي عبث زملائي وتهكمهم فما بي من قوة أن أفعل . وتمادى صحابي فامتدت أيديهم إلى وجهي ورأسي ، فطرت أنزع عنهم وأفر منهم وهم يجدون في إثرى لأكون لهم سخرية ولهواً . ولم تستطع نفسي أن تطمئن إلى هذا الوضع الوضيع وأنا عاجز اليد واللسان والقلب ، فذهبت أتلمس مهرباً فكنت أقضي أوقات الفسحة مختبئاً في (المرحاض) ثم أنفلت — آخر اليوم المدرسي — إلى بيتي أحمل همي بين جنبيّ فما أجد متنفساً إلا أن أشكو إلى هذا الخادم الفظ وهو لا يلقي بالاً إلى شكاتي إلا والعصا على ظاهرى ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل .

وقضيت السنوات الأولى من عمرى المدرسي أتوارى عن زملائي خشية أن تنالني أيديهم وألسنتهم ، وأنطوى على نفسي في ركن من حجرة خيفة أن أعرض أسمالي البالية على أعين الناس في الشارع ، فعشت في منأى عن الناس أطمئن إلى الوحدة وأرى فيها سلوان القلب وراحة النفس .

أفكنت أطمئن إلى هذا الوضع الوضيع في سهولة ويسر ؟ .

ليت شعرى ما ذا كان يضطرب في خاطرى حين أخلو إلى نفسي وإن قلبي ليتضرم غيظاً ويحتدم حقداً على أولئك الذين اتخذونى سخرية ولهواً ؟ .

وثارت فيّ ثائرة التفرم إلى الانتقام واشتد بي النهم إلى الثأر وشغلتني الخاطرة فملأت نفسي وسيطرت على أخيلتي ، وفي رأيي أن الناس يحترمون القوى ويتملقونه ويسخرون من الضعيف ويمتهنونه . وعزّ عليّ أن أعيش عمرى في القلة والمسكنة فعزمت على أمر ...

ورحت أقضي شطراً من يومي في أحد الأندية الرياضية ، وشطراً آخر بين أوراق ودرسي ، ومرت الأيام فإذا ساعدى قد اشتد وعضلى قد تكتل وإذا عقلي قد أستوى واستقام .

وقويت نفسي حين رأيتني في الصدر قوة وعلماً ، فطردت خادمي بعد أن أذقته وبال أمره ، وانطلقت إلى أبي أطلب — في شدة وعنف — أن يرتب لي من المال ما يحفظ عليّ كرامتي وكبريائي فما تمهل ، وانطويت عن زوجة أبي وأنا أحدجها بنظرات فيها الاحتقار والبغض ، ووجدت اللذة والسعادة في أن أبطش بأترابي وأقارني فاندفعت أذيقهم الذلة وأسومهم الخسف لا تأخذني بهم رأفة ولا أستشعر نحوهم الرحمة .

وتخرجت في الجامعة لأفرغ إلى الانتقام وبي إليه قرم وأخلص إلى الأخذ بالثأر وبي نهم إليه . وسلكت إلى غايتي سبلاً شيطانية وأنا أعجب أن تسيطر عليّ روح الإجرام وأنا رجل علم وأدب . ولكن ، هل كان الشيطان إلا وعاء علم وأدب لبسته روح الإجرام ؟ .

ودفعتني شيطانيتي إلى أفانين من الانتقام أحكم نسجها ، فانطلقت ...

اليوم أطفأت غلى وأشفيت داء صدرى ، بعد أن عذبت من سخروا مني طفلا وقتلت من قسوا عليّ صغيراً ، فهل ترانى ندمت على أمر وأنا أشعر بأني قد أديت رسالة قلبي ؟ .

ولكن عين العدالة لم تغفل عني فأنت ترى الآن الغل في يدى والقيد في رجلي وسيف الجلاد ينتظرني بعد أيام .

فقل لي — يا صاحبي — من عسى أن يكون الملوم ، من عسى أن يكون يا صاحبي ؟ .

كامل محمود حبيب

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

— ١ —

في الوقت الحاضر تبذل الدول العربية قصارى جهدها لتحظى بمكانة دولية مهيبة تساعدها على نيل مآربها السياسية والاستقلالية إلا أن الوصول إلى مثل هذه الغاية يحول دونه عقبات ، من بينها عقبة ضعف الشخصية العربية وضآلتها ، ثم عقبة جهل العرب بمقوماتهم العقلية الممتازة .

ويرجع ضعف الشخصية العربية إلى تهاون العرب في التمسك بأخلاق القرآن ، وتفريطهم في إعطاء التعاليم الإسلامية صبغة عملية يظهر أثرها النافع في الحياة الخاصة والعامة ، بينما يعود جهل العرب بمقوماتهم العقلية الراقية إلى أن الشعوب العربية لم تكلف نفسها مشقة الكشف عن كنه ميولها الفكرية ، أو تهتم بشحذها حتى تنضج ، أو تعنى بكشف الميادين التي تقدر أن تخوضها وتتفوق فيها ، حتى تستطيع أن تدخل غمار النضال العالمي مزودة بأسلحة أخلاقية سامية وواقعية في نفس الوقت ، وتنم من شخصية قوية لها صفات مميزة ، وممونة بعدات عقلية تستعين بها في إثبات وجودها ككائن حي فعال في الحياة الدولية يختص بأداء عمل معين لا يشاركه فيه كائن آخر من الكائنات الدولية ؛ فيحقق ذلك كله للعرب ما تصبو إليه نفوسهم من رقي ، ويحتلون مكانة دولية تجبر المستعمر على احترام حقوقهم السلوبة .

أما من ناحية ضعف الشخصية العربية فإنها لن تتقوى ما لم تمهد السبل لبعث التعاليم الإسلامية في صورة حية واقعية ، تطلقها من سجن أروقة المساجد وحجرات الدراسة ، وتدفع بها في تيار الحياة اليومية الرحب المتنوع ، حتى لا يشعر أي فرد بوجود انفصال بين الدين والحياة ، ويحس بأن الدين من الحياة وأنه أنزل من السماء ليلبي أغراض الحياة سواء أكانت روحية أو مادية ، ولا يعترض سبيل تطورها ، أو يعوق تقدمها ؛ فإن انقطعت الصلة بين الدين والحياة كما هو الحال في البلاد العربية ، عُد ذلك تقصيراً من رجال الدين في البحث عن هذه الصلة . ولذلك يجب عليهم أن يوثقوا العرى بين تعاليم الدين الإسلامي وحياتنا الحاضرة ، وألا يحيطوا هذه التعاليم بهالة من السمو والرفعة بحيث تعلو عن حياة عامة الناس ، فيصعب عليهم التحلي بها ويظنون أنها تنطوي على قيم عليا لا يقدر أن يصل إليها إلا خاصة الخاصة ، مع أن الدين أراد أن يسلكها الجميع بدون تفرقة . فإذا اتصلت هذه التعاليم بحياة الناس العادية ، وطبقت على شتى ظروفهم الاجتماعية ، أدرك كل عربي جدوى التعلق الحق بالدين الإسلامي ، ولمس فائدته الروحية والمادية معاً ، فيعتقد أن الدين قوة دنيوية كما هو طريق إلى الله .

إن غرض الفتوح العربية في صدر الإسلام كان نشر الدين الإسلامي خارج حدود بلاد العرب . ولقد استبسل الكثير من العرب ، واستشهدوا في سبيل الله ، ففازوا بالجنة من ناحية ، ونال أهله من ناحية أخرى قسطاً من الغنائم مثل بقية الجنود العائدين من الحروب .

فالقتال في سبيل الله وإن كان باعثه دينياً يخلد المستشهد في الجنة ، وهذه غنيمة روحية ، يضمن كذلك لعائلته من بعده العيش الرغد وهذه غنيمة مادية ، أحس كل عربي بجدوى فائدة الاستشهاد من أجل نشر الإسلام من الناحيتين الروحية والمادية ، فأقبل على الجندية وخاض الوغى بشجاعة لا تقهر ، فاستطاع على قلة عدده وعدده أن يزيل من الوجود الدولة الفارسية ، ويزعزع أركان الدولة الرومانية .

وفي هذا الجو السماوي الأرضي عرف العرب قديماً كيف يثبتون دعائم الدين الإسلامي في النفوس . وفي هذا الجو كذلك يقدر العربي في الوقت الحاضر أن يقضي على ما تركته المدنية الغربية في نفسه من القلق الوجداني والاضطراب العقلي ، لانقياده المطلق لغرائزها المادية ومقاتها الحسية ، ولإغفاله تهيئة الحياة الروحية التي تلائم مزاجه وتبعثه على طلب الكمال .

ولقد سبقنا الهنود في المضمار الديني الاجتماعي ، وأخذ المفكرون الهنود من أمثال راما كريشنا وفيفكاناندا يستوحون

تراثهم الدينى القديم ، ويعرضونه فى أسلوب حديث يتفق وغايات الحضارة الحديثة بدون أن يخل بأصول الفكر الهندى الروحى .

ثم جاء طاغور ووضع القواعد الثابتة للحياة الهندية الكاملة ، وأبرزها فى صورة واضحة فى كتابه « سادهانا » استقاها من تعاليم الكتب الهندية المقدسة ، ودعمها بروح الغرب العملية ، فأعطى المبادئ المثالية قيماً واقعية تنفع فى الحياة . وبعد أن كان الهندى ينزع لاجتناب الحياة أصبح بفضل هؤلاء المفكرين لا يقدس الزاهد الهاجر للحياة ، المترك للأهل والوطن ، والتارك فى نفسه ، والهارب من مشاكل الأرض ، وإنما يقدس الزعيم القوى الذى تمثل فى شخصية غاندى ، ذلك البطل الوطنى الذى دفع بمقومات الهند الروحية فى ساحة النضال السياسى ، فنالت بلاده حريتها ، تعرف الهنود من مفكرين وسياسيين كيف يتفادون عيوبهم القديمة ، ويتغلبون على ميلهم إلى اعتزال الحياة ، ويبرزون قدرتهم على احتمال الألم فى سبيل الغايات القومية بعد أن كانت قاصرة على الغايات الدينية الصرفة .

وها هو نهرو خليفة غاندى يقتفى أثره ، ويسير على هدى الطابع الهندى ، فما كاد يطمئن على استقلال بلاده ، ويضمن ود الباكستان ، حتى بادر بخوض مجال دولى حيوى أراد أن تقوم فيه بلاده فى خدمة الإنسانية ، وتؤدى ما عليها من واجبات فى سبيل رسالتها الروحية التى ترغب فى أن تعم بلاد العالم أجمع . فدعا لعقد مؤتمر ينشد من طريقه ضم شمل الدول التى تعتنق المثل العليا والمبادئ المعنوية ، وتؤمن بقوتها فى تدعيم السلام ، كما يبغى توحيد صفوفها لتتعاون على إنقاذ العالم مما هو فيه من تفكك وتنازع ، وذلك بالقضاء على النزعات الاستعمارية ، وبث روح المحبة والوئام فى ربوع العالم .

وهكذا عرف نهرو كيف يختار المجال الوحيد الذى تقدر العبقرية الهندية أن تشترك فيه ، وتظهر براعة لا تفوقها براعة ، فنجح فى استغلال استعدادات قومه الأصلية فى إعلاء شأنهم ، ورفع مكانتهم بين الدول .

فأمام العرب نموذج من الفكر الدينى الخالق الذى استطاع أن يرفع عن كاهل بلاده كابوس الاستعمار بفضل تعاليم غاندى فى المقاومة السلبية ؛ وأن يقتحم الميدان الدولى متخذاً من أساليبه الروحية وسيلة لتحقيق سلام العالم ، وهى غاية هندوكية قبل أن تكون غاية سياسية إنسانية ؛ فهو بذلك لمبادئه الدينية قوة إيجابية

أما كيف يعطى الفكر العربى تعاليمه الإسلامية قيمة عملية فعالة ونافعة فى حياتنا الخاصة والعامة ، فذلك يكون بعد تطبيقها تطبيقاً جديا واسع النطاق يشمل المجتمع العربى بأكمله . فكل ما تأمر به التعاليم الإسلامية من تشريعات لا ينبغى أن تهمل ويستعاض عنها بغيرها من تشريع الغرب ، وبحجة أنها أكثر إنسانية . فترفض قطع يد السارق وجلد الزانى ورجم الزانية ، فإن ذلك يضعف من قوة ديننا ، ويقلل من قدرته على مواجهة مشاكل الإنسان ، وذلك يورث فى نفوسنا نوعاً من المهانة ، فتستكين لتشريعات الغير ، بينما يجب أن نتمسك بتشريعات الإسلام ، لا بدافع من نعرة دينية رجعية ، ولكن بدافع من المحافظة على روح الأمة العربية ، وصيانة كيان حياتهم الاجتماعية . وكل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف من مثل عالية يجب أن تؤسس عليها الأخلاق العربية . وكل ما يتضمنه هذا الكلام المقدس من حكم يجب أن تقوم بها أهواءنا ورغباتنا ، حتى تصفو نفوسنا مما علق بها من شوائب المدنية الحاضرة ، وتعيش فى كنف حياة روحية ترتاح إليها عقولنا العربية ، فنقدر أن تستوحيها ، وتنهج سبل التطور إلى أن تكيف التعاليم الإسلامية بظروف الحضارة المعاصرة بدون أن تفقد شيئاً من أصالتها .

فإخراج هذه التعاليم من منابر الجوامع إلى ساحة الحياة الاجتماعية يعد أمراً ضرورياً لنهضتنا الحضارية . إن غاندى عندما علم الهنود المقاومة السلبية قد أضاف إلى مبدأ عدم العنف الهندوكى من القوة ما ألهب مشاعر قومه الدينية ، وأرهب الانجليز وهز امبراطوريتهم ، فكان عمله هذا أعظم عمل دينى أداه هندى لوطنه .

فنحن نريد أن نشعر بقوة مفعول تعاليمنا الدينية فى أعمالنا وتصرفاتنا حتى يزداد إيماننا بها قوة ، ولا نفكر فى أن نتخلى عنها ، ونبذل جهد الطاقة لكى نبثها فى جميع صور الحياة الدنيوية ، فيكون ذلك باعثاً وفيماً على طلب الرقى ، ودافعاً عقليا إلى تشييد حضارة عربية تستمد مقوماتها من صلب التعاليم الإسلامية ، وتجارى المدنية الغربية فى نفس الوقت .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وهذيل وكنانة:

أتيت في المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد، وذلك مما كان له أثر في القراءات واللغة وقواعدها. والواقع أن ما سبق هو الكثرة الراجحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع.

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التي أثرت فيها، وكيف اشتركت مع غيرها في خصائص لغوية كان سببها الجوار وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها في وحدة مترابطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لهجات لقبيلة مبعثرة في كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات. وإذا أتيحت نسبتها في كتب القراءات والتفسير، فلا تمر إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب. وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها ودياناتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ. وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والذيوع. ولعل في هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس:

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد أصبح كثير من بطونها في عداد القبائل لكثرة ما ضمته من أفراد فمن فروع قيس:

١ — غطفان: ومنها عبس وذبيان، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين: داحس والغبراء. ومن ذبيان أيضاً بنو مرة، ومنهم الحارث بن ظالم المرى، أحد فتاك العرب المشهورين والذي يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب في بعض المعارك الحربية التي تسمى أيام العرب.

ومن بني عبس عنترة الفارس الشاعر. ومن ذبيان النابغة الذبياني الشاعر. ومن غطفان أيضاً بنو أشجع. وكانت منازل غطفان بنجد مما يلي وادي القرى وجبلي طيء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالي المدينة. وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه وعطل حرمهم وذلك في الجاهلية. وقد تفرقت غطفان في الفتوح الإسلامية.

٢ — بنو سليم بن منصور، وكانت بلادهم في عالية نجد قريباً من خيبر.

وكان بعض بني سليم سدنة «للعزى» وفي عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال:

يا «عز» كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذي كان بارع الجمال، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكني رجل تتشبب به النساء

٣ — غني وهم بنو غني بن أعصر بن سعد بن قيس، وباهلة وهم بنو معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة. وكانت غني وباهلة يعبدون «العزى» وساكن غني وباهلة متجاورة في نجد شرق الطائف، وبعض بني باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرق في الطريق بين مكة واليمن في موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه «ذي الخلصة» وكانت تعظمه أيضاً وتهدى له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعي الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب ، ومن حكمه : من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . الكثرة الرعب ، وللصبر الطيبة . رُبّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدواني ، ومن شعره العذب :

لاه ابن عمك لاأفضلت في حسب عني ، ولا أنت دياني فتخزوني
إني لعمرك ما بابي بذي غلق عن الضيوف ولا خيري بممنون
ولا لساني على الأدنى بمنطلق بالفاحشات ، ولا أغضي على الهون
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمي أن لا أحبكمو إن لم تحبوني
كل امرىء صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والصعاليك المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولها ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبي الصلت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفي .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجشمي حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والنصب لها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركمو من ليس ينتصر
إن التي حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جهار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرق مكة ، وهم الذين عنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمال في قراءته « يحيى » وسئل في ذلك : هذه لغة الأخوال بني سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعي النميري الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعرين العاشقين .

ومن بني عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلي تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة في حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب في الإسلام شمالي الشام حول حلب . وكان بنو هلال في الجاهلية بنجد ، ثم ساروا في الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم في السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات ومراتعهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفي ذلك يقول رجل من العرب في القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

وقد انفرقت هذيل في الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التي مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور ، ومن نسله المسعودي علي بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد في الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — ولعله «الفلس» لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفي ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

تبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقروا يا جديل وأعذبوا

ومن بني أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذي كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام .

ومنهم زر بن حبيش الذي أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

ومساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد من مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربي مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربيها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبني مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيا زعم ، فلما دنا منه ورآه وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت في كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال: لابارك الله فيك إلهاً أنفرت علي إبلي ... ثم خرج في طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لايدعولغي ولارشد

هذا ومن غفار من بني بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور ، ومنها كذلك عزة محبوبة كثير ، ومن الدئل من بني بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة في سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو بعيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل .. ومن بني مالك بن كنانة نسأة الشهور في الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان في الجاهلية النابهين ...

(للبحث بقية) **عبد الستار أحمد فراج**
محرر بالمجمع اللغوي

حاشية :

(١) ذكرت في مقال سابق أن اسم الإشارة «مثنى» لم يجيء في القرآن الكريم ولكن تبين لي أن ابن عيسى قرأ بها : هتى الشجرة هتي القرية

(٢) جاءني خطاب من حضرة السيد علي عبد الحسين السلمان من العراق ينبهني لمد أتصاوى في تنوين العوض على ما كان معوضاً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة في جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم ...

طرائف من العصر المملوكي :

الروح القوميـــة

للأستاذ محمود رزق سليم

الروح القومية عاطفة عامة ، وإحساس مشترك بين بني الوطن الواحد ، تشعرهم بأنهم مجموعة من الناس ، من الخير لهم أن يأتلفوا ويتحدوا ، ليكون لهم من وراء ذلك قوة يستطيعون بها أن يتغلبوا على صعاب الحياة وعقباتها ، في الداخل والخارج ، وتحدد لهم أهدافاً خاصة يرون فيها حفظاً لكرامتهم ، وإحقاقاً لحقوقهم ، وتغذية لزعاتهم ، وإقراراً لآمالهم .

ويتركز حب هذه الأهداف في نفوسهم تركز العقيدة ، إعاناً بها وإيثاراً لها . لذلك يسعون جاهدين في سبيل بلوغها ، مضحين بكل مرتخص وغال ، من رأى ونفس ومال .

والروح القومية في الأمة مثلها مثل الكائن الحي ، يولد ويتغذى وينمو ويقوى ويعمل ويوجه . ولها عوامل لميلادها وغذائها ونموها وقوتها ، كما أن لها عوامل مضادة مناقضة ، إذا هي صادفتها أضعفتها ، وكبتتها وأماتتها .

وعوامل نموها وقوتها كثيرة متعددة لا مجال لحصرها والحديث عنها الآن ، ولا لتوضيح أثرها ؛ ولكننا نذكر أن من بينها اتحاد أبناء الوطن في الوطن واتفاقهم في الجنس واللغة والدين وتجانسهم في الثقافة وتعرضهم لعوامل اقتصادية مشتركة أو لأخطار خارجية أو داخلية متشابهة ، وكذلك قيام أفذاذ الرجال من بينهم وقادة الفكر الذين يتزعمون نزعة وطنية خالصة من الشوائب ، فيوقظون وينبهون ويحمسون ويوجهون ، ويضرمون نار البعث والنشور ، حتى تفيق الأمة من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، وتعرف لنفسها كرامتها وحقها ، وتسعى لإدراك آمالها .

ومن عوامل إضعافها تتابع الغارات الخارجية ، وطول العهد بالاستعمار ، وضعف الثقافة واضطرابها ، وانتشار الأوباء واستبداد الولاة ، ونحو ذلك .

وبمقدار ما يتاح للأمة من عوامل القوة ، تذكو فيها الروح القومية ، وتنشط النزعات الوطنية ، ويقوى الرأي العام ، ويفرض مناهج الأمة في السياسة والإدارة والاقتصاد والتعليم والأوضاع الاجتماعية ، وغير ذلك .

وبعد فهل كانت بهذه البلاد المصرية العزيزة إبان العصر المملوكي روح قومية ونزعات وطنية ترمي إلى المحافظة على الكرامة العامة ، ورعاية الحقوق ؟ وإذا كانت هناك روح ، فما مظاهرها وما عوامل حياتها ؟ وإن لم تكن هناك روح ، فما الأدلة على ذلك ، وما الأسباب التي وجهتها الأقدار سهاماً إلى هذه الروح ، فقضت عليها ؟

الحديث في ذلك يطول ، لا يستوعبه مقال واحد ؛ إذ البحث فيه يتطلب النظر الطويل في التاريخ وفي النظم الإدارية والأحداث الاجتماعية ، وفي أنواع الثقافة وأصباغها ، وتتبع نزعات العامة ، وتلمس مصادفاتها التي تخرج فيها عن وقارها ، وعن حياتها الآلية العادية ، في تلك العصور الوسطى التي امتحنت فيها الأمة بطغيان سلاطينها واستبداد أمرائها وعبث جندها وتراخي كثير من علمائها عن إصلاح إدارتها .

لقد انضوت مصر تحت اللواء العربي ، واندمجت في نطاق الأمم العربية ، بعد الفتح العربي . ولا غضاضة على روحها القومية من هذا الانضواء والاندماج ، ما دامت قد رأت في الإسلام عدالة فياضة ، ومساواة كاملة ، وأخوة نقية ، وأنست في الحاكم الإسلامي رعاية عامة ونزاهة تامة ، وتسامحاً كريماً ، وحباً للخير .

ولكن جرت الأحداث في الدول الإسلامية ، بعدُ ، على غير ما يشتهي الإسلام ، فانساقت مصر إلى الانفصال والاستقلال وأخذت معها نحوها ، واستردت روحها القومية حريتها في الظهور والعمل .

وبدأ ذلك بدءاً جيلا منذ العصر الطولوني ، وما زال حتى كان تمهيداً حسناً للعصرين الفاطمي والأيوبي اللذين استقلت فيهما مصر استقلالا كاملا أكثر من ثلاثة قرون ، وغزت جنودها باسمها في البلاد المجاورة وفرضت سيطرتها ، وحملت أعباءها كاملة إبان الحروب الصليبية .

فلما آلت سلطنة مصر إلى حكم المماليك وجدوا فيها أمة مستقلة غازية حاكمة اتسعت رقعة مملكتها خارج حدودها ، وعنيت

ينشر ثقافتها عناية محمودة ، فوجدوا من هذا ، الأساس الوطيد لبناء مجيد .

وكنا نرجو لو أن المماليك نهجوا فى سياستهم الداخلية منهجاً يرمى إلى إعزاز الشعب وإنهاضه ، والسمو بمستواه الروحى ، واتبعوا إزاءه هذا النهج الجيد الذى اتبعه والى مصر وعزيزها الكبير محمد على ، بعدهم بنحو ستة قرون .. إذاً لاستطاع الشعب المصرى أن يغير وجه التاريخ ، وأن يفرض سيادته — على الأقل — على هذه الرقعة الواسعة من غرب آسيا أكثر مما فرض . ولتحققت لمصر على يدهم ، أحلام محمد على ، التى صادفته عقبات لم يكن لها وجود فى العصر المملوكى ، كأنظار الدول الأوربية به ، ووقوفها سداً منيعاً وعصبية واحدة فى سبيل توسعه . ولكن المماليك تجاهلوا الشعب وأنكروا مواهبه وتناسوا حقوقه ، وفرضوه بقرة حلوبا تدر لهم وهم ملاكها .

حقاً ! قد كونوا لأنفسهم جيشاً عظيما كثيفا مزوداً ، حفظوا به كيان دولتهم وفرضوا مهابتها ، ووسموا رقعتها ، وحكموا به فيما حكموا البلاد الشامية والحلبية والحجازية ، حتى أصبحت سلطنتهم أقوى سلطنات المسلمين شرقا وغرباً . وفى هذا ما فيه من إعزاز لمصر ، وتقوية لمتوياتها ، وتنشيط لروحها .

غير أنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، ورواشوا للروح القومية سهاماً قاتلة جديرة بالقضاء عليها ، قمينة بأن تورث فى النفوس ضعف الثقة بكفاياتها ، والارتياب بمواهبها ، والشك فى نباغتها .

لقد كان منهم الجافى الطبع الكثير الصلف ، المتتابع الجور السريع إلى تقرير الضرائب الفادحة ، العاجل إلى المصادرات الظالمة ، البالغ فى فرض الغرامات المالية والعقوبات .

حقا كان السلاطين والأمراء فى طليعة ملوك الإسلام وأمرائه احتضاناً لشرعه ، وتشجيعاً للعاملين على نشر سننه ، واحتفاظاً ببلاده . ولقد احتضنوا الخلافة بعد زوالها من بغداد ، فجددوا لها شباباً ، وألقوا عليها ثياباً ، وأنشئوها نشئاً آخر منذ عصر الظاهر بيبرس . وهى على علاتها قد جعلت القاهرة — فيما جعلها — رمزاً وعنوراً تطيف به قلوب المسلمين .

ولكننا لا ننسى أنهم كانوا يباينون أهل البلاد وعامة شعبها فى اللغة والجنس ، ولم يحاولوا السير خطوة واحدة فى سبيل محو هذه الفوارق الأصيلة الجوهرية ، التى من شأن بقائها وطول بقائها أن تصيب الروح القومية فى الصميم ، وتعمل على هدم الكيان الوطنى ، والفرقة بين عناصر الأمة .

بل لا نغلو إذا قلنا إنهم بكثير من تصرفاتهم ، وبألوان من فهمهم السقيم قد زادوا هذه الفرقة وعملوا على هذا الهدم .

ونقصر حديثنا هنا على ثلاثة عناصر ذات مساس مباشر بالنواحي المنوية فى النفوس ، مبعث الروح القومية الصحيحة ، وهى ملكية الأراضى الزراعية ، والجندية ، والتعليم .

أما ملكية الأراضى الزراعية فقد حرموها على أهل البلاد ، وقصروها على الطبقة الحاكمة ، وهى المكونة من السلطان وأمرائه وجنودهم ، ولعل لهم عذراً إذ وجدوا مثل هذا النظام الإقطاعى كان قائماً من قبلهم فى عهد بنى أيوب وغيرهم ، وقد قسموها على أنفسهم ، واتبعوا فى تقسيمها أحد نظامين يسمى كل منهما « الروك » وهما الروك الحسامى نسبة إلى ملك مصر حسام الدين لاجين ، والروك الناصرى نسبة إلى ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون .

والنظام الناصرى هو الذى اتبع فى أكثر أعوام العصر . ويتلخص فى أن الأرض الزراعية تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً .. للسلطان منها عشرة ، وللأمراء والجنود أربعة عشر . ويختلف عنه النظام الحسامى فى نسبة الأنصبة .

ثم قسمت الأراضى إلى قطع ذات مساحات مختلفة ، كل منها يسمى إقطاعاً . يهب السلطان منها ما يشاء للأمراء والجنود فى حدود النسبة المبينة المتفق عليها . والإقطاعات لا تورث بل ترد إلى السلطان بموت أصحابها . وكذلك يستردها السلطان إذا شاء لسبب من الأسباب ، أو يستبدل بها غيرها .

وصاحب الإقطاع يستغل أرضه وينتفع بثمراتها كما يشتهى وفق هواه ، مستعيناً بمن يسكن فى الإقطاع من الزراع .

ونحن لا نريد هنا أن نفيض فى وصف تلك النظم الثالثة . وإنما همنا أن نشعر القارئ الكريم بما كان يعانيه المواطن المصرى ، وبخاصة الزراع ؛ فقد حرم عليه أن يملك أرضاً ولد فيها جده وأبوه ، وبنياته وبنوه ، ووهب لها كل ما فى قلبه من حب ،

وما في جسده من قوة . ثم هو لا ينتفع بشيء من غلاتها يتناسب وما يبذل في سبيله من جهد وكد وكفاح وعرق . فأية غضاضة ترى على نفسه وأية مرارة تفيض على فؤاده ، وأي ضعف ينتاب روحه ، وأي وهن يصيب معنويته حينما يشعر بما يعانيه من حرمان وقسوة وشظف عيش ... ؟

لقد عرف الزارع حينذاك بأنه « فلاح » . فقد قال المقريزي ما نصه : « ويسمى الزارع المقيم بالبلد « فلاحاً » قراراً ، فيصير عبداً قِنا لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك » .

وقد لبث الفلاح المصري محروماً ملكية أرض بلاده الزراعية والانتفاع الحر بثمراتها ، حتى صدرت لائحة الأراضي في عهد سعيد باشا ، فأباحت له الامتلاك والانتفاع ، لأول مرة .

أما الجندية والتعليم فقد سبق لنا أن أشرنا إليهما في بعض هذه المقالات . ولقد كان بالبلاد نوعان من التعليم : عسكري وشعبي . أما التعليم العسكري فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك دون سواها لكي تتكون منها جنود الدولة والطبقة الحاكمة من أمراء وسلطان . وكان المدد التقليدي لها ، المماليك الجدد الطارئين على البلاد أرقاء من الأسواق الخارجية . ولا يسمح لأي فرد من أفراد الشعب بالانتظام في سلك الجندية ، ولا أن يحلم في طباقها . كأن المهارة العسكرية وقف على طائفة المماليك دون سواهم ، وموهبة خاصة خلقتها العناية فيهم .. وفي هذا ما فيه من إضعاف للروح القومية ، وقتل للثقة بالنفس ، فكنت ترى الشعب وكأنما استقر في أفئدة أبنائه أنهم لا يصلحون لحرب أو ضرب ، وأنهم غير أكفاء للدفاع عن أنفسهم ووطنهم .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن الوطني المصري الصميم لم ينعم بالانتظام في سلك الجندية ببلاده منذ زمن بعيد جداً ، قد يصل إلى ما قبل العهد الروماني ، ولم يرد إليه هذا الحق الطبيعي إلا منذ النهضة الحديثة في عهد محمد علي .

أما التعليم الشعبي فكان في جامع أمره دينياً ومكانه المساجد وما شابهها من دور التعليم . وقد أغدق عليه السلاطين إغداقاً محموداً ، وعنوا به عناية مذكورة مشكورة ، وكذلك فعل الأمراء والرؤساء .

وقد وجد الشعب في هذا الضرب من الثقافة شيئاً يعوضه ما حرمه من التعليم العسكري ، فكان فيه متنفس لمواهب أبنائه . ومن حسن الحظ أن طائفة المماليك لم تشارك الشعب في الأخذ من هذه الثقافة بنصيب إلا لماماً لماماً — وقد يكون هذا من سوء الحظ كذلك — فاتسع نطاق العمل أمام أبنائه الذين يتخرجون في هذا التعليم الشعبي الديني ، وعموم التعميمين ، ووكلت إليهم مناصب القضاء الشرعي ، والكتابة ، وما إليهما من الأعمال .

وأهم مايشوب هذا الضرب التعليمي أنه كان يقدم إلى الشعب صدقة عليه وإحساناً ، لا على أنه حقه يؤدى إليه .

ومهما يكن من شيء ، فاختلاف الثقافة هذا الاختلاف الصارخ بين المتمصرين ، وحرمان الشعب من التعليم العسكري — فضلاً عن الاختلاف في اللغة والجنس — كان له أثره في شجب هذه الأمة والتفريق بين طوائفها ، وخلق جو من الشقاق والحقد والشك بينها .

وهذه العوامل كلها من دأبها أن تشيع الفرقة بين طبقات الشعب ، وأن تسلط بعضها على بعض ، فيستأثر البعض بالنعيم والسلطان ، ويبوء الآخر بالفقر والحرمان . ولا يتحقق بينهم معنى التعاون الصحيح الناشئ عن الشعور العميق بالواجب ومقتضياته . ولهذا يروي ابن إياس أن الشعب امتنع عن دفع الضرائب للأشرف طومان باي سلطان مصر حين الفتح العثماني مع حاجة هذا السلطان الشديدة إلى الضرائب المذكورة . وكانت حجة الممتنعين أنهم لا يدرون حينذاك لمن البلاد ! ألمماليك هي أم للعثمانيين الغازين ؟ فهم ينتظرون ريثما ينجلي القتال ويُعرف ولي أمر البلاد الشرعي ، فتؤدى إليه الضرائب ...

على أن جميع العوامل التي انتابت الأمة المصرية في ذلك العصر ، لو انتابت أمة غيرها لقضت عليها القضاء الأخير ، وشتتت شمل بنيها ، وفرقتهم أيدي سبأ ، ولسان الزمان معجزة إذا هم بجمع شملها ولم شعثها مرة أخرى .

ففي بقاء هذه الأمة ، وفي حرصها على الذود عن كرامتها ، والدفاع عن حقها ، والسعي لإدراك أملها ، ما يدل دلالة واضحة على مذخورها العظيم من القوى الروحية والمقومات المعنوية .

وقد بدت منها هذه الروح في عصر المماليك في مناسبات كثيرة ومظاهر جمة . وأبرز تلك المظاهر هذه المكانة التي تبوأها علماء الدين وفقهاء الشريعة ، فقد كانوا من صميم الشعب وأشدّه وآلت إليهم — كما نوهنا — مناصب القضاء والكتابة والتدريس والفتوى ورعاية الوقف وأموال اليتامى وما إلى ذلك ، فأصابوا حظاً وفيراً من الفقه والعلم والدين والمال جميعاً ، أنبت في نفوسهم عزة ومنعة ، وفي أنفذتهم أنفة وإباء ، فكان كثير منهم يتأبى إلا على الحق ، ويترفع إلا عن العدالة . وكانوا بطبيعة نشأتهم ، وبطبيعة عملهم الرسمي وغير الرسمي ، ألصق بالشعب وأدنى صلة به وأكرم هيمنة عليه ، وأقدر على التأثير فيه . ولهذا خشيهم السلاطين وتملقوهم لكي يدرءوا عن أنفسهم مغبة سخطهم ، ورحبوا بالوافدين منهم من الأمصار الإسلامية ، الفارين من وجه الطغاة والغزاة ببلادهم . وأخذوا يستشيرون النابهين منهم في كثير من أمور الدولة ، وبخاصة إبان الأزمات .

ومنهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، كان ذا مهابة وجلال ، توقف عن مبايعة الظاهر بيبرس بالسلطنة ، فعطلت المبايعة حتى ثبت له عتقه . ومنهم أمين الدين يحيى الأقصرائي الذي كف يد قايتباي — على قوته وجبروته — عن المساس بمال الوقف ، وقد أراد الاستيلاء على شيء منه للانفاق على حروبه ، ولهذه الحادثة أشباه .

على أن العلماء أنفسهم كانوا لا ينون يبذلون البذل الشديد والجهد الجهيد في نشر الدين القويم بين الناس ، وبث الشريعة السمحة ، والدعوة إلى العمل بها واتباعها ، وتمييز الحلال من الحرام ، فقعدوا للتدريس العام في المساجد ، وتصدوا للفتوى العامة ، يقصدهم من أجلها القصاد ، ويراسلهم بها المرسلون من فجاج العالم الإسلامي ، فنهضوا بهذا العبء أفضل نهوض ، وجرى الجدل بين بعضهم والبعض بسبب هذه الفتاوى والمساءلات . والعامة تترقب نتيجة الجدل وعاقبة النقاش ، وتتعصب للبعض على البعض ، وتتحيز لفريق دون فريق ، فكان من وراء ذلك حركة ذهنية فكرية لا بأس بها ذات مساس بالعقيدة ، ووجد الناس فيها عوضاً عن هذا الكبت السياسي ، وبديلاً من هذا الحرمان العسكري ، ومتنفساً من هذا الاختناق .

ومن المظاهر الجلية لذلك الحياة الفكرية الحاكات التي جرت على بعض العلماء المجتهدين — كابن تيمية الحراني وتلميذه ابن القيم — بسبب بعض آرائهما وأدى ذلك إلى سجنهما . واشترك في الجدال عدد جم من أفاضل علماء العصر ، وألفت في موضوعاته شتى الرسائل والمؤلفات .

وفي عهد الأشرف قايتباي قامت فتنة كبرى بين العلماء وتابعهم فيها العامة ، واشترك في لجنها العلماء . وكانت بسبب الشاعر الصوفي عمر بن الفارض — أحد شعراء العصر الأيوبي — وما ساقه من ألفاظ وعبارات في تائيته المشهورة ، مما رمز به إلى الذات الإلهية . فكفّره بعضهم ونسبه إلى الحلول ، واعتذر له البعض بضيق اللغة عن أداء معانيه النفسية ، وكانت ضجة كبرى ظلت زمناً ، وألفت فيها الرسائل والمقالات والبحوث والأشعار ، وأوذي بسببها بعض العلماء ، حتى حسمها السلطان بفتوى كتبها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وكانت في صالح ابن الفارض .

وإذا علمنا أن الدول الإسلامية في تلك العصور كانت تقوم على أساس من الدين متين — والدين أم دعائمها — تبين لنا خطر مثل هذه الفتن والمشكلات ، وفهمنا أنه تمت بصلة ما إلى سياسة الدولة وعقلية الجماهير ومشاعرهم .

من هذه الحوادث وأشباهها نستدل على أن روح المعارضة والإقدام على النقد كانا على ضرب من الحياة محمود ، والنقد والمعارضة الصالحة بعض مظاهر الروح القومية ومقومات الرأي العام

وقد سبق لنا في إحدى هذه المقالات أن تحدثنا عن النقد الاجتماعي وبينا كيف تناول كثير من الأدباء والشعراء الحياة الاجتماعية بالنقد المرير السافر ، فنقدوا الأسرة ونظامها وعلاقات أفرادها بعضهم بالبعض ، والنظام الإداري وما فيه من فوضى واضطراب وقلق وسرقات وادعاءات ورشوة ومحاباة وظلم ، وما بين طوائف الأمة المختلفة جنساً ولغة وديناً من أحقاد وإحن . وقد مزج بعض الشعراء نقده اللاذع بالتورية والفكاهة والدعابة فخرج مخرجاً كيساً مقبولاً .

والحق أن الشعب المصري كان — على علاته — ذا إحساس سياسي نافذ عجيب ، شارك به في حادثات بلاده على اختلاف

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية
للأستاذ أحمـــد أحمد بدوى

— ٤ —

وتنوعت سفن الأسطول ، فكان منها الشوانى Gyaleres وهى أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالا ، وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول ، وهى سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج العظيمة والقلاع ، وتزود بالعدد الحربية ، وتجهز بالأسلحة والنفطية لتستعمل فى الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو ، وبها اللجام وهو حديدة طويلة محددة الرأس تقذف به سفن العدو لتغرقها . وبها أيضاً كلاليب وهى خطاطيف كبار من الحديد تطرح عليها فتوقفها (١) . ومنها الجلاسات Gyaléasses مفردها جلاسة وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة تسير بالشراع والمجاذيف وهى أثقل وأقوى من الشينى . والمسطحات وهى من أكبر سفن الأسطول . وكذلك السلنديات وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل فى أهميتها الشونة والحراقة . والبطسات وهى من أشهر أنواع السفن فى أيام الحروب الصليبية ، قد يكون لها أربعون قلعاً (١) كانوا يشحنونها وقت الحرب بالآلات والأقوات والميرة والرجال والمقاتلة والأسلحة وآلات الحصار وكانت تحمل آلاف الجند ، ولها أسطح عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش . والغربان ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذاً من اسم الغراب لأن مقدمها على شكل رأسه (٢) ، وهى تحمل الغزاة وسيرها بالقلع والمجاذيف منها ماله مائة وثمانون مجذافاً . والشاريات وتجر بستين مجذافاً ، ولعلها كانت خاصة بالرؤساء ، كما يفهم من وصف عبد اللطيف البغدادى لها . والقوارب نافعة لغزاة المسلمين وقت الحرب فى البحر ، يكون فى كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة يعينون غربان المسلمين على قتال غربان الفرنج

(١) نظم الحكم بمصر ص ١٨٢ .

(١) النوادر لابن شداد ص ١٤٩ .

(٢) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣٢ — ٤٤ .

ألوانها . يبدو لنا ذلك مما يقحمه بعض المؤرخين — كابن إياس — من العبارات فى ثنايا رواياتهم التاريخية كقولهم فى سياق حادثة ما : و « كثر القيل والقال » و « أرجف الناس » و « فاشيع بين الناس » و « فضج الناس له بالدعاء » إلى نحو ذلك من العبارات . وأذكر أن ابن إياس قال فى إحدى عباراته ما مؤداه : « إن أهل القاهرة ما تطاق ألسنتهم ، وبل لا محرى ، تقع عيونهم منه على مذمة »

هذه العبارات وأشباهها تشعرنا بوجود ذلك الإحساس الذى أشرنا إليه ، وإن كانت ساذجة غامضة . غير أن هذا الإحساس لم تتح له حرية كافية للظهور والعمل خوفاً من المستبدين الطغاة ، ولم ينضج نضوجاً كافياً يسمو به إلى تكوين رأى عام له أثر فى سياسة الدولة وإدارتها .

على أن التاريخ يحدثنا أن الشعب كثيراً ما نهض إلى معونة حكامه فى حروبهم الخارجية ، وقدم إليهم ما طلبوا من الدواب والغلال والمال ، ولم يتأب كثيراً على الضرائب التى يفرضونها عليه ، ولكنه كان يتأبى عليها ويقاومها إذا كانت فادحة ظالمة . ومثال ذلك ما حدث فى عهد الأشرف الغورى ، فقد فرض ضريبة جائرة ضج لها الناس وثاروا فى وجه نائب سلطنته وغيره من الأمراء ، وعرضوا لهم فى الطريق ورجموهم بالحجارة ، فأعمل المماليك فيهم السيف وقتلوا منهم وأثخنوا فيهم .

والذى يجب أن نخلص إليه — ما سبق أن نوهنا به — وهو أن هذا الشعب المصرى الكريم — على علاته — تكمن فيه روح قومية فطرية نزعة سليمة تحتاج إلى ما يظاهرها ويحسن توجيهها ويسير بها فى الطريق السوى بما يعود بالنفع والعزة لهذا الوطن الكريم .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

وقراقيرها[١] . والبركوشات وهى مراكب صغار .

ومنها الحراقات وهى نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، وكان بها مرام ومنجنيقات تلقى منها النيران على العدو[٢] ، وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات فى النيل استخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية[٣] .

والحمالات وهى مراكب حربيــة تحمل الأزواد للرجال ، وآلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار والدبابات وأبراج الزحف وغير ذلك ، ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب ؛ والقراقير ، ولا تقف إلا فى المكان الغزير الماء لأنها سفن عظيمة تحمل الزاد والكراع والمتاع للأسطول ؛ والطرائد وهى سفن صغيرة سريعة الجرى كانت تستعمل غالبا لحمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً .

والشيطى ووظيفته الكشف والاستطلاع .

وعنى الخلفاء والسلاطين بتوفير الخشب للأسطول فكانوا يعينون له الحراج ومنها ما هو بالوجه القبلى فى البهنسا وسفط والأشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغيرها (٣) ، والحراج أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى أرجاء المملكة ، ويأمرون بحفظها ، وألا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه[٤] ، وأحياناً تصنع من خشب الجميز ، وهو الخشب الذى جهز به الظاهر بيبرس شوانيه بدل ما تحطم له عند قبرص[٥] ، وحيناً يستخدم له شجر الأثل والنبق والسرو ، وكثيراً ما كانت الأخشاب تجلب من بلدان أوربا الجنوبية على أيدى البنادقة[٦] .

وكان لصناعة الأسطول ثلاثة أماكن بمصر هى جزيرة الروضة ودمياط والإسكندرية[١] ، وموانيه التى كان يرابط بها هى دمياط والإسكندرية وعيذاب على شاطئ البحر الأحمر[٢] ، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام قبل أن يغلب الفرنج عليها[٣] .

والظاهر أن جند الأسطول فى العصر الفاطمى كان مكونا من المغاربة لمرنهم بمعاناة البحر[٤] ، وفى عهد صلاح الدين استخدم جنوداً مغربية كذلك وجنداً من المصريين الأقوياء الأشداء[٥] ، وظل المصريون هم المورد الأساسى للأسطول حتى بعد انتقال السلطان إلى المماليك ، فإنا نجد بيبرس يجهز أسطولا لغزو قبرص ، فيه الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر ، وشهاب الدين محمد بن ابراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية ، وشرف الدين علوى بن أبى الجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط ، وجمال الدين مكى بن حسون مقدما على الجميع[٦] ، فلما جاء خليل بن قلاوون رتب بالأسطول عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح[٧] وإن كان الجند المصرى له الغلبة أيضاً ، وكذلك جند المماليك فى الأسطول فى عهد الناصر محمد بن قلاوون[٨] .

وكانت التعبئة البحرية تشبه أختها البرية أحيانا ، فقد يصنع أمير البحر من سفنه قلباً وجناحين ومقدمة وساقة وقد يصنع مراكبه على شكل نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به ، وقد يقابل أمير البحر عدوه بمراكبه صفوفاً مستقيمة فتلتطم مراكبه مراكب العدو بالنجام قريبا من مؤخرها لتغرقها ، أو يشغل أمير البحر مراكب خصمه ببعض المراكب ثم ينقض عليه مرة واحدة من ورائه وهكذا[٩] .

(يتبع) أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) تاريخ المماليك البحرية لعلى ابراهيم حسن .
(٢) محيط المحيط .
(٣) كما يفهم من كلام المقريزى ج ٣ ص ٣١٥ .
(٣م) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(٤) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ .
(٦) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ٢٨٩ و ٣١٥ .
(٢) لين بول ص ١٥٥ .
(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٩ .
(٤) خطط المقريزى ج ص .
(٥) الحروب الصليبية للحريرى ص ١٨٧ .
(٦) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٤ .
(٧) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٦ .
(٨) المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٩) نظم الحكم بمصر ص ١٨٤

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كاتب لا يعرف قدر نفسه :

سلامة موسى هو الكاتب الذى أعنيه ... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أساتذة يعرف قدرهم المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به !.

لقد كتب حضرته كلمة فى العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألمانى جيته تحت عنوان « مثل الأعلى » ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى ، وقبل أن يقرأ كلمة يستطيع أن يكتبها عنه بعض النابهين من طلبة المدارس الثانوية !.

لا يهمنى أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل فى مجال الحديث عن جيته ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق بهذا الطراز من المعلومات التى يعرفها صغار الطلاب ... ولكن يهمنى أن أنقل إليهم هذه الفقرات التى تكشف عن مركب النقص فى الشخصية الأدبية :

« وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذى ترجمه و « ألفه » الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثانى فاوست الذى ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكانا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لتعمق الشاعر الألمانى ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما فى الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية » !.

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص ، ومركب النقص فى حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن ، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه فى مؤخرة الصفوف ... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبى فى وثبات وخلفوه على الأرض !.

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسى لا تعجب سلامة موسى ، وترجمة عوض محمد عن النص الألمانى لا ترضى سلامة موسى ... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلى أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه ، قلمه الذى يذكرنى بأقلام المترجمين فى روايات الجيب !.

مركب النقص ولا شىء غير مركب النقص ... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئاً من هذه الحقيقة المؤلمة التى يحس لذعها الرجل ، وهى أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر فلن يذكر فيها اسمه إلا فى مجال التسجيل الإحصائى !.

إن الثقافة المهوشة والمعلومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها فى تاريخ الأدب ، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء « النداء » !!.

كرافتشنكو مرة أخرى :

إنك تذكره بلا ريب .. هذا الموظف الروسى الكبير صاحب « آثرت الحرية » . ولقد حدثتك فى عدد مضى من « الرسالة » عن الكتاب وصاحبه ، وعن تلك الضجة التى أثارتها حوله مجلة « لى ليتر فرانسيز » ، وهى الضجة التى شغلت الرأى العام الفرنسى قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء ، وشغلت الرأى العام فى العالم بعد أن دفع بها كرافتشنكو إلى أيدى العدالة مطالباً بمعاقبة خصومه طبقاً لنصوص القانون !.

يقول خصوم المؤلف الروسى إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخداع ... ويقول كرافتشنكو إن لديه الدليل على صحة كل رأى سجله ، وكل قصة أتى بها ، وكل حادث أورده واستند إليه . والرأى العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم ، وبين وثائق ووثائق ، وبين شهود وشهود ، يترقب اليوم الذى يقول فيه القضاء كلمته ... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه ، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية .

كرافتشنكو فى رأى خصومه سكير ومختال وجاهل وكذاب وخائن . ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك الدعامة الكبرى من دعائم الاتهام وهى الكذب . أنهم يسلكون شتى الطرق بغية الوصول إلى هذا الهدف الذى تتحطم

على صخوره كل حقيقة من حقائق « أوثرت الحرية » ، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة .

في هذه المعارة يحصر الناعون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ، ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة .

أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب « أوثرت الحرية » عن بعض ماعرض له من وقائع هي في رأيهم أوهام وأباطيل . وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلي برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها ، تلك التي كانت في يوم من الأيام أقربهم إليه ... ومرة أخرى يقف كرافتشنكو في مهب العاصفة!

إن الزوجة السابقة تقف اليوم في ساحة القضاء لتتهم زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع ، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات ، ومن واقع تلك الفترة التي جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق ... ولقد كان زواجها منه جحيما لا يطاق ، خرجت منه بطفل تدعو الله الا يرث شيئاً من أخلاق أبيه !

وهنا يقف كرافتشنكو لزأر كحيوان جريح : إن هذا الذي تنطق به محض افتراء دنيء وادعاء باطل ... أليس عجيباً الا أسمع إلا في هذه اللحظة بأنني أب لطفل لا أعلم شيئاً من أمره ولامتى ولد ؟! إن الملقن الحقيقي لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسي ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدي ... هذه السيدة المحترمة التي ألقى أبوها حتفه في مجاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب !

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ في وجهه : إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو .. لقد طلبت إليك يوماً أن تساعدني على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك ، أما أبي فقد مات على فراشه في موسكو ولم يمت كما زعمت في مجاهل سيبيريا ! وإنك بعد ذلك لفي الطليعة من صنوف الخونة . . لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس في « أوثرت الحرية » وأنكرت أبوتك لولدك اليوم في ساحة القضاء !

هذه هي المفاجأة الثانية من مفاجآت القضية الشهيرة التي يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير .. وفي انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهي أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية ! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس ! سؤال تجد الجواب عنه في الغد القريب .

رسالة من أديب ثائر :

سيدي الأستاذ أنور ،

هذه الرسالة لك وحدك لا للبريد الأدبي .. كما أضمن الحرية لقلمي .

بلى يا سيدي ، هأنذا وقد رجعت إلى عدد « الرسالة » الماضي كما أشرت أراني قد حرت وفي مخيلتي ما أعجز عن أن أصوره بيراعي . لقد نقلت لنا في تعقيبك على كلمة الأستاذ الصعيدي في مسرحية « الملك أوديب » بأنه إنما بنى انتقاده للمسرحية على أنها من الأساطير ، فهي من الاعيب كهان جهلة — كما زعمت مما جعلك تسترسل في تقذفك له بذلك التهكم اللاذع ، حين رميته بسذاجة النظرة الخ .. وياليت الأمر قد وقف بك عند هذا الحد ، ولكنك قد اجترحت ما لا تغفره لك لغة قومك ولغتك التي نسبت إليها النقص ! وإني أحيلك يا من تعرف غير لغتك إلى البحث عن أصول فن المسرحية والمبتنى منه ... ثم لتراجع المسرحية مرة أخرى وترجع بعد ذلك إلى رأي الأستاذ الصعيدي مدققاً النظر : هل ما أراد هو ما أردت ، أم أنه رأى فيما أورده « سوفوكليس » من حوادث مضطربة في مسرحيته بعداً عن الغرض الذي سيقت له ؟ وهل بلغت أوج الكمال الفني أم أنها بحق ألاعيب كهان جهلة ... ؟

وكأني من عجلة تجر صاحبها إلى حيث تتقطع راحتاه من الطرق على أبواب الندم .

وإلى الأستاذ أطيب تحياتي .

الثائر

محمد الهادي عطية

هل تستطيع أن تخرج بشيء من هذه الرسالة الرائعة ؟ إنها امتحان عسير لقدرتك على الفهم ، وتجربة طريفة لاختبار مقاييس الذكاء .. أما أنا فقد رسبت في الامتحان وأعلن ذلك على رءوس الأشهاد ! لماذا نشرتها إذن وقد بعث بها صاحبها إلي وحدي ؟ لقد نشرتها لسبب واحد ، هو أن أطمئن حضرة الثائر على أن

أعصابي تحتمل في كل يوم كثيراً من اللغو الذي يضيع معه الوقت والفائدة ، ولأطمئنه أيضاً على أني كما أبيح الحرية لقلمي أبيحها لأقلام الناس ، ولو بلغوا من النبوغ هذه الرتبة العالية التي بلغها السيد عطية !

لقد خشي الأديب الثائر – وأتوسل إليه أن يترفق بأعصابه حرصاً على صحته الغالية – خشي أن يبعث بكلمته إلى « الرسالة » فلا تحظى بعطف « البريد الأدبي » ، ومن هنا بعث بها إليّ كي يضمن الحرية لقلمه !

ترى هل اطمأن على أن كلامه القيم قد اطلع عليه القراء ؟ هذا هو الأمر الوحيد الذي تقطعت بسببه راحتاي من الطرق على أبواب الندم !

من عجائب الترجمة في العصر الحديث :

تسمع في العصر الحديث عن عجائب المخلوقات فهل سمعت عن عجائب الترجمة ؟

هذا موضوع طريف أعددته للنشر والتعقيب ، ولكن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد سبقني إلى الإشارة إليه في ثنايا كلمته التي طالعها القراء في الأسبوع الماضي حيث قال : « يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لساناً يوافق لساناً ، ولا صحيفة تطابق صحيفة ! وتقرأ صحف العاصمة في حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له في كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلاً يوم الأحد الماضي تجمع على أن الشرط اكتشفوا في شارع من شوارع القدس لغماً من البارود ، ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذي كشفوه منجم من الرصاص ! »

هذه هي إشارة أستاذنا الزيات إلى إحدى عجائب الترجمة حيث انفردت بها جريدة البلاغ . والخبر الذي أذاعته وكالة « اليونيتدبرس » وترجمته الصحف المصرية ومنها « البلاغ » يتمثل في هذه الكلمات : « اكتشف مراقبو هيئة الأمم المتحدة لغماً أرضياً في الطريق الموصل إلى بيت الحكومة في القدس ، حيث يقيم أعضاء لجنة فلسطين التابعة للهيئة . وقال المراقبون إنهم تتبعوا السلك المتصل باللغم إلى أن وصلوا إلى نقطة تابعة لإسرائيل المزعومة ، وإن اللغم كان في المنطقة المحايدة التي تحيط ببيت الحكومة . وأضاف المراقبون إلى ذلك أن تقريراً بهذا الحادث سيرفع إلى المستر تريجفي لي السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ... الخ » .

لغم في كل الصحف ومنجم رصاص في « البلاغ » .. والذنب في ذلك ذنب المترجم اللبق الذي رجع إلى القاموس فاكتفى بالمعنى الأول لكلمة (Mine) ولم يكلف نفسه عناء الاطلاع على المعنى الثاني ! ولو فرض أن مترجم (البلاغ) لا يعرف غير معنى واحد للكلمة فكيف غاب عن ذكائه أن الكشف عن منجم رصاص لا يستحق كل هذه الضجة ، ولا يستحق أن يرفع بشأنه تقرير إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة ؟ ! كيف غاب عن ذكائه أن المعنى المقصود لا يستقيم مع « منجم الرصاص » فلا بد للكلمة من ترجمة أخرى ؟ !

« تشنيعة » على السيريالزم :

قلت وأنا في معرض الحديث عن المذهب السريالي في العدد الماضي من « الرسالة » إن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه في فرنسا وهي موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الكثيرين يهاجمونه في عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! . . . قلت هذا بالأمس ، ويهمني اليوم أن أقدم للقراء هذه « التشنيعة » الطريفة التي يهديها خصوم المذهب السريالي إلى الرسام بيكاسو :

أقام بيكاسو معرضاً لصوره في إحدى المدن الفرنسية ، وفي يوم من الأيام الزاخرة بالزوار والمشاهدين ، وقف أحد الفنانين يتأمل لوحة فريدة أشير إليها بهاتين الكلمتين : « هتك عرض » ! وقف يتأملها ساعتين دون أن يخرج بشيء يوضح الصلة بين اللوحة وما جاء تحتها من كلمات يأباها الذوق والسمع ... وعند ما هم بمغادرة المكان شاكاً في ذكائه سمع صوتاً ساخراً يقول له :

– ثق يا صاحبي أن ذكاءك بخير ... لقد وقفت أمام هذه اللوحة ساعتين دون أن تفهم شيئاً ، فهل تعلم أني وقفت أمامها أربع ساعات دون جدوى ، أنا الذي قدمت إلى محكمة الجنايات ست مرات بتهمة هتك عرض ؟ !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأسمر يسطو على شعر الزين :

قال الشاعر الذي فقدناه منذ عام وبعض عام ، الأستاذ أحمد الزين ، في مطلع رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب ... وصوب دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد ... فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تساقط نفسي كل يوم فبعضها ... بجوف الثرى والبعض رهن النوائب
فيادهر دع لي من فؤادي بقية ... لوصل ودود أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة ... أجيب بها في البين صيحة ناعب

وأخيراً قال الأستاذ محمد الأسمر في تأبين المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب ... وفي كل يوم لوعة بعد نازح
رجال كأمثال النجوم ثواقب ... مضى وهو لماع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن تجف شؤونه ... على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب ... بدأنا رثاء بعد ذاك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب

وقد كان الأسمر صديقاً للزين ، فهل استباح السطو على شعر صديقه الراحل بحق الصداقة ؟ وهل هذا نوع جديد من الوفاء بين الشعراء ؟ أو هو مذهب جديد في الأدب يقضي بإرث الصديق لصديق فيما قاله من الشعر ..؟ أو حسب الأسمر أن الزين قد قضى وانطوى شعره ، وأن أحداً لن يراه وهو يتسلل إلى مراثيه يستمد منها ما يجلجل به على المنابر ؟ على أني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز من النظم ، أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً .. دع عنك اتحاد الوزن والقافية ، وانظر إلى الألفاظ والمعاني . اللهم إلا إذا قدرنا جهده الجبار في استبدال (يوم) بـ (حين) والعدول من (وقفة) إلى (دمعة) ثم تحويل (إثر ذاهب) إلى (خلف غائب) في البيت الأول مثلا ! وكأني به قد أمسك بكل بيت من أبيات الزين ، فخنقه ، فأخذ أجزاءه منه ميتة فبنى بها بناء لا تسكنه روح ، فقضاء حق الصاحب بسفح الدموع قضى نحبه في البيت الأول على يد الأسمر ، وكذلك كان مصير فقدان القلب تباعاً من توديع الراحلين المتتابعين في البيت الثاني ، وهكذا لحقت بقية الأرواح النابضة في أبيات الزين بروح صاحبها وانتقلت إليه في العالم الآخر . وانظر إلى الزين يستبق الدهر بعض فؤاده ويسأله أن يدع من ماء الجفون ، ليقضي حق الصاحب الودود ويستجيب لداعي البين حين يصيح الناعب ، ثم انظر إلى الأسمر الملول الذي يطلب الراحة للشعر ، فالأول يندمج في جو الحزن ويستعذب بكاءه ويستبقى للآتي بعده ، أما الثاني فهو ضجر من وقفته يستعجل الخلاص منها ، فيقول :

أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

ولست أدري لم يرثى (الصاحب) إذا كان شيئاً آخر غير (الحر) ! كما لا أدري معنى التنويع بين الحر والصاحب ، ولم لا يكون الصاحب حراً ؟

وبعد فقد كان أحمد الزين وفياً لأصدقائه الراحلين من الأدباء والشعراء ، حتى لقد قصر مراثيه عليهم ، فهل هذا جزاؤه ممن رحل عنهم من الأصدقاء ؟ لكأنه كان يقول في نفسه حينما قال في حافظ :

وفي وفاء الرسل بين معاشر ... نصيب الحي منهم وفاء الثعالب
يدورون بالأمداح يبغون مأرباً ... فيا ضيعة الأوطان بين المآرب

أو كما قال في ختام هذه المرثية الطائلة :

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالياً ... فلا بدع لو يطفو به كل راسب

بين مدير الإذاعة وأم كلثوم :

لم يعد خافياً ما نشأ من خلاف بين الإذاعة وبين أم كلثوم في شأن إذاعة مسجلاتها الغنائية . ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للإذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف في سبيلها . ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد

طرائقها من مظاهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعي يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير . وورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسي بمقال في جريدة « المصري » عنوانه « الأغاني في السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعي بأنه صديق أم كلثوم . ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب في الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيه مدير الإذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الإذاعة ومن معاشه في الحكومة فإذا هو ٣٠٦٠ جنيها سنويا على حين أن مرتب رئيس الوزارة ٢٥٠٠ جنيه فقط .

وكان مؤيدو أم كلثوم يقولون ليست هي وحدها التي تأخذ مالا كثيراً من الإذاعة أو تريد أن تستزيد من المال . ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ إنها الآن تأخذ من إذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه في السنة وتريد أن تزيدها إلى عشرة آلاف وثمانين جنيها ، وكل ذلك دون أن تبذل أي جهد ، ولكنها وجدت الإذاعة « عســلا » فتريد أن « تلحسها » كلها .

كشكول الأسبوع

◻ كان المقرر أن يجرى الانتخاب بالمجمع اللغوي يوم الإثنين الماضي لاختيار أحد المرشحين لملء الكرسي الخالي ، ولكن حال دون ذلك مرض معالي الأستاذ أحمد لطفي باشا رئيس المجمع الذي يعالج الآن بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب ، عجل الله لمعاليه الشفاء ومنحه الصحة والعافية .

ولذلك تقرر تأجيل الانتخاب إلى أن يتم شفاء معالي الرئيس . وهناك اتجاه إلى أن يستمر هذا التأجيل إلى أن يمضي أربعون يوماً على وفاة الجارم بك ، ثم يجري الترشيح للكرسي الثاني ، ثم الانتخاب للكرسيين .

◻ نشرت « الأهرام » وبعض الصحف الأخرى ما يلي : « طلب إلينا الدكتور طه حسين بك أن ننشر أنه أزمع الانصراف عن الكتابة في الصحف إلى حين » .

◻ انتهت لجنة التحكيم في مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف من عملها ، وأعدت نتيجة المسابقة ، وقد فازت قصة « بعد الغروب » بدرجة الامتياز في القصة الطويلة ، واستحق كاتبها الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله الجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيها .

◻ أعلن المجمع اللغوي أن لجنة الأدب به بحثت ما قدم إليها من الإنتاج الأدبي لسنة ١٩٤٩ فوجدت أنه لم يبلغ الدرجة التي تسوغ منحه الجائزة ، وقد أحسن المجمع في ضنه بالجائزة على ما رآه دون المثل الذي يستحقها ، ولكن الجدير بالبحث بعد ذلك هو لماذا لم يقدم إلى المجمع ما يستحق الجائزة .

◻ من الإنتاج الأخير للأستاذ المرحوم على الجارم بك ، بحث ألقاه في مؤتمر المجمع اللغوي عنوانه « الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية » قرر فيه أن العرب جرت سليقته على الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، فيبدأ الجملة بالفعل ، وقد يلتجىء إلى الجملة الاسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل .

◻ نشرت الأهرام أن محطة الإذاعة بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، أذاعت برنامجا يدور حول كائنات تغزو الأرض من المريخ فأحدثت ذعراً في الجمهور الذي هجم على المحطة وأحرق دارها .

والحمد لله على أن إذاعتنا لم تبلغ هذا المبلغ من الإزعاج ، فلا يتجاوز ما تذيعه إحدى تمثيليات يوسف وهبي ، والناس لا يهجمون — بعد سماع برامجها — إلا على (الأسبرين) .

◻ وضع معالي وزير المعارف مشروع إنشاء جامعة « محمد علي » بأسيوط ، توطئة لعرضه على مجلس الوزراء ، ويتضمن هذا المشروع أن على الجامعة بجانب شؤون التعليم أن تشجع البحوث العلمية وتعمل على ترقية الآداب والعلوم في البلاد .

◻ تساءل الدكتور أحمد أمين بك في إحدى جلسات المجمع اللغوي عن الفائدة العملية لكتابة الهمزة والألف اللينة أشكالا وألوانا كالبهلوان .

وعقدة الخلاف أن الإذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهي تعلم ذلك فتغالي في الثمن وتعلم أيضاً مكانها (خاطرها) من أعضاء مجلس الإذاعة .

ولولا أني لا أريد أن أنتقل من الجد إلى المزح لاقترحت أن ينقل أمر الإشراف على الإذاعة من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء إلى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكني ألزم الجد ، فأقول إن الأمر يتطلب الحزم والصرامة في سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة في حاجة إليها ؛ فهذه الأموال إما أن تكون الإذاعة محتاجة إليها في تدبير شؤونها كتحسين البرامج وإنصاف الموظفين وغير ذلك ، وإما أن تكون زائدة على حاجتها فعند الدولة لها ألف وجه ووجه .

جوائز فاروق الأول :

أقيمت حفلة لجوائز فاروق الأول في العلوم الاجتماعية والكيميائية والجيولوجية وعلوم

الحياة بجامعة فاروق بالاسكندرية فى عيـد الميلاد الملكى . وألقى معالى وزير المعارف كلمة اللجنة الدائمة للجوائز ، فأعلن فيهـا ماوصلت إليه لجان الفحص لسنة ١٩٤٩ ، وقد رأت هذه اللجان أن الكتب والبحوث التى فحصتها لم تستوف بعض الشكليات والشروط لاستحقاق الجوائز

وكانت لجان الفحص قد غربلت ما قدم لهـا ، ثم صفت ما غربلته ، فكانت الصفوة : كتاب « أسس الصحية النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية العالى ، وكتاب « ساڤونارولا » للدكتور حسن عثمان الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فاروق ، وكتاب « السودان فى قرن » للأستاذ مكى شبيكة ، وبحث فى الجيولوجيا غير مطبوع للدكتور رياض عبد المجيد حجازى . فأوصت لجان الفحص بإيفاد حضراتهم إلى الخارج على نفقة الدولة تمكيناً لهم من وسائل البحث والدراسة بالاتصال بالمعاهد العلمية والهيئات العالية . وكان الدكتور القوصى والدكتور حسن عثمان موجودين فى الحفلة ، فصافحهما مندوب جلالة الملك . أما الأستاذ مكى شبيكة والدكتور حجازى فهما فى الخارج ، الأول مبعوث من كلية غوردون السودانية إلى إنجلترا والثانى فى بعثة من وزارة المعارف إلى أمريكا وقد مدت له اللجنة مدة البعثة .

وقد نوه معالى وزير المعارف بأسماء المختارين الأربعة ، وأشاد بجهودهم العلمية ، وأشار إلى أن الغاية من تنظيم هذه الجوائز التى يتفضل بها جلالة الفاروق ، هى رفع مستوى الإنتاج العلمى ، فإذا رأت اللجنة الدائمة عدم استحقاق الجوائز فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تؤدى إلى تلك الغاية ، مثل إيفاد العلماء إلى الخارج لأنه يسهل لهم سبل البحث واستكمال الدراسة .

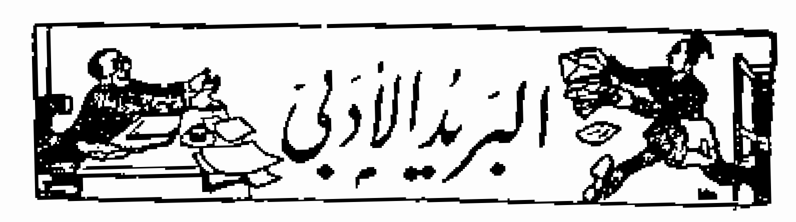
ولاشك أن هؤلاء الأربعة المختارين — وإن كانت مؤلفاتهم لم تنل الجائزة المادية — قد نالوا ما هم أهله من حسن التقدير والتكريم ، وخاصة الدكتور عبد العزيز القوصى ، فهو من مفاخر مصر فى علم النفس ، وله مكان ملحوظ فى المجامع العلمية بالخارج .

بناة النهضة :

نظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات العامة موضوعها « بناة النهضة المصرية فى القرن العشرين » تمثل أنواعاً مختلفة من النهضات ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وكان آخر حلقة فى هذه السلسلة محاضرة للدكتور محمد صلاح الدين بك عن بناة النهضة فى المسرح والموسيقى ، فتحدث عن الموسيقى من عهد محمد عثمان وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم ، وتحدث عن المسرح من سلامة حجازى أيضاً إلى زكى طليمات ، وقد بين أهمية من تحدث منهم فى الفن وأثره فى تطوره ، فسلامه حجازى زاوج بين المسرح والغناء ، وجورج أبيض استطاع أن يجعل للتمثيل قيمة مستقلة عن الغناء ، ومحمد تيمور وزملاؤه من هواة المسرح المثقفين كانوا طبقة ذات أثر كبير فى ارتقاء المسرح ، ومن هؤلاء زكى طليمات الذى لا يقتصر على الجهد الفردى فهو يصنع الآن جيلا جديداً يرجى على يديه عهد جديد للتمثيل فى مصر ، وكذلك فعل فى الموسيقى ، وقد وقف طويلا مع سيد درويش ، وقال إنه استطاع أن يجعل الفن ذا موضوع ، ومن عبقريته أنه ذهب فى التجديد إلى مدى بعيد مع الاحتفاظ بالأصول الشرقية للنغم والموسيقى .

هذا وقد نشر فى الصحف عنوان هذه المحاضرة هكذا « بناة النهضة الأدبية » واحتشد جمهور كبير فى قاعة يورت التذكارية ، وقدم رئيس قسم الخدمة العامة ، للمحاضرة بكلمة قال فيها إن المقصود بالنهضة الأدبية نهضة المسرح والموسيقى لما لها من شديد الصلة بالأدب . وقد ألم هذا الوضع وهذا الجو إلى تقصير فى هذه السلسلة ، إذ أهمل فيها الجانب الأدبى إهمالا تاماً ، ولم يذكر رئيس الخدمة العامة سبباً مبرراً لهذا الإهمال . قد يقال إن الجامعة حرة فيما تختار من الموضوعات ، ولكنها محاضرات عامة تدعو إلى إلقائها بعض قادة الرأى والفكر فى مصر ، ومن تمام الفائدة أن تستوعب الجوانب المختلفة ، ولم يكن ينبغى أن يهمل الحديث عن النهضة الأدبية وهى أم النهضات جميعاً ، حتى أنك لا تجد نهضة إلا كان الأدب لسانها والأدباء باعثيها وداعين إليها .

عباس خضر



نصيب العلم :

كان من صـدى الإعلان فى « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض علىّ جزاء لقراءته مقالاتى فى الرسالة أن أقدم إليه كتابى مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد غليت رخيصاً ينفع العـــلم إن تنله قنيصاً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لهـا جزاه الله فى حبى . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أنى أخو أفروديت أو ابن ثيتيس ؛ أو أنى كيوبيد بعينه على الرغم من أنى « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أحوجت سمعى إلى ترجمان » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسى أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ضنى بأن استشفع بعيد ميلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها فى يوم العيد السعيد . وإنه أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أنى أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بالنبى الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يشفعوا بالقروش الشريفة إن كانوا يرون أن كتابى يساوى هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

لا وجود إلا وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هى الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إيمانهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربى من مذاهب هو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهى مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهى واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً فى أن نمتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التى تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، وتفسد أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين فى هذه الحقيقة . ولا يدرى كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأى إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيراً صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خاليـة من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها فى مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما قال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكى ويتساءل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود فى وحدة الوجود الروحيـة ، وأتى من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم فى التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يمعن فى القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندى مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله ، ويذكر الأدعية التى ترفع له ، ويعين القرابين التى تبذل من أجله ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التى جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندى دينى آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسـفة الهنود الهندوكية فى وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية فى إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذى يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذى يكمن فى كل شىء فى الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التى يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعرى وعرضها بخيال الفنان الملهم فى أسلوب روحى يفيض عذوبة وحلاوة . فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام ، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً ، وما أراد لنفسه أن يكون فى يوم من الأيام فيلسوفاً ، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيماً . فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند فى تفسيره على منهج عقلى منظم . ولم يخط كتباً فلسفية قط . وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sadhana » أصول فلسفة أعلج فيها المشاكل الميتافيزيقية والأخلاقية والفنية التى اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة ، فإنما ذلك رغبة منى فى أن أعرض أفكار حكيم فى أسلوب فلسفى لا غير .

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق ، وجودها روحى ، وأن ما يبدو فى الكون من مادة فهى مظهر خادع يخفى براهما المستقر داخلها ؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذى لم يبين لنا طاغور كنهه ، أو يذكر سبب نموه فى براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم يفصل بينه وبينها فصلا تاماً ، وإنما كن فيها وأعطى للانسان فرصة العودة إلى منبعه الذى انبثق منه ، بمنحه حرية التصرف فى شئون دنياه ، وتقييده بقانونه الأخلاقى ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع فى «المايا» أى الباطل الذى يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينا براهما يتجلى فى الكون فى صور القوانين التى يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية ، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية . ومعرفة هذه القوانين معرفة قد تتحد بكل شىء . إلا أنه لا يكفى للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحى ، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذى يوجد فى كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً ، تنطق به كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها دمجاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات .

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإنى أرجعه إلى ما سبق أن نشرته فى مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية .

عبد العزيز محمد الزكي



في ميدان الجهاد

للأستاذ وهبي إسماعيل حق

إلى المجاهد الكبير، من اجتمع لديه حنكة الشيوخ وعزمات الشباب، صاحب الدولة «أحمد باشا حلمي» وفقه الله في مهمته ...

كان الوقت ليلا، وكانت السماء صافية الأديم، وكان القمر يرسل أضواءه الفضية الساطعة، فتملأ الأرجاء أمنا، وتغمرها نوراً، ولولا أن الجو تمشي في جنباته موجات من برد فبراير القارس لتبدلت الحال، ولخرج الناس من مكامنهم ليستمتعوا بهذه الطبيعة الأخاذة، ويستنشقوا عبير النسيم الذي انبعث من البحر الأبيض يحمل النشاط والقوة، ولما جاءت «كتيبة الإيمان» — إلى ذلك الكهف الذي اتخذته مقر لقيادتها، في إحدى جبال فلسطين الكثيرة، والتف أفرادها حول النار ليصطلوا.

وكانت هذه الكتيبة واحدة من الكتائب التي ألفت جيش الإنقاذ الذي خف إلى فلسطين حينا وضج اليهود من المغالاة في مطامعهم بإثارة الغارات — من آن لآخر — على القرى العربية الآمنة، ومثلوا معهم تلك الأدوار التي حدثنا عنها التاريخ في عصور الجاهلية الأولى، من هتك الأعراض، وسلب الأموال وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال.

واتخذت كهفا واسعا مركزاً لها، فيه توضع خططها الحربية، وفيه تحفظ المؤونة، ومنه تشن الغارات ضد الصهيونيين الشاة.

كان ضوء القمر على باب الكهف يعاون أشعة النار في تبديد الظلمة، فيستطيع الإنسان أن يميز وجوه الحاضرين، فيرى فيهم الأبيض والأسمر، والأسود والأشقر، ويرى فيهم الطويل والقصير.

فهؤلاء الأربعة البيض الذين اتخذوا مجلسهم قريبا من الوقد، تنبيء ملامحهم أنهم أوربيون: فأما المملاقان — اللذان تشع من عيونهما أشعة القوة والجلد، وينبعث منها بريق الأمل — فهما من إحدى المدن الألبانية التي تغذي أهلها بلبان الحرية، ومن أجلها حاربا الطليان والألمان، ثم حاربا الشيوعية، وأخيراً تركا الوطن إلى إيطاليا فراراً بعقيدتهما.

وأما هذا الفتى الربعة الشكس الذي اتسمت آيات الحزن على صفحة وجهه، ولاح الامتعاض وحب الانتقام في أساريره، فإنه من تلك القرية البوسنوية المسلمة التي أغار عليها ذلك الوحش الآدمي المجرم «ميخائلوفيك» فحرق رجالها وهم يؤدون صلاة العيد في أحد مساجدهم، وأجبر نساءها أن يرقصن على الثلج عاريات، بعد أن سلبهن الشرف والعرض، ثم أعدمهن رميا بالرصاص. وكان من حظ رفيقنا هذا أن تأخر من شهود الصلاة فنجا من الموت، وفر إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا.

أما هذا الذي يشبه الصبي إلى حد بعيد فهو من تتار بولونيا غادر بلاده بعد الزحف الروسي ليحارب الظلم والاستبداد فوصل إلى جبال ألبانيا وحارب مع عصاباتها جيوش الحور.

وجمعت المقادير بين الأربعة في أحد معسكرات إيطاليا، واستمعوا إلى تلك الفظائع التي يرتكبها اليهود مع عرب فلسطين فهبوا للدفاع عن الحقوق المهضومة ورد العدوان الصارخ.

أما الباقون من أفراد الكتيبة فيستطيع من يراهم أن يعرفهم بسيماهم ولكنتهم العربية، فمنهم المصري والسوداني، ومنهم السوري والعراقي والمغربي واللبناني ومنهم غيرهؤلاء كثيرون.

اجتمعوا حول النار في الكهف يتشاورون ويتباحثون في الأعمال التي يجب أن يتبدئوا بها في غدهم.

وقال قائدهم الأكبر، وهو فلسطيني أتم علومه في ألمانيا، ودرس الفنون الحربية في معاهدها، ونبغ في الهجوم الخاطف: في الصباح الباكر سنهجم على مواقع العدو القريبة منا في ناحية الشمال.

واستقر الرأي أن يبدأ الهجوم من الساعة الخامسة قبل أن تبزغ الشمس، ويملأ نورها الجو، وصدرت الأوامر للجميع

أن ينظفوا أسلحتهم ، وأن يتموا استعدادهم ... وتفرقوا إلى مضاجعهم في زوايا الكهوف ، وفي الساعة الرابعة جلجلت أصوات المؤذنين في الفضاء : « الصلاة خير من النوم » فهرع الكل إلى الينبوع الذي لا يبعد كثيراً عن الكهوف وأسبغوا الوضوء لصلاة الفجر ، وأمهم قائدهم . ولما قضيت الصلاة ، توجهوا إلى الله مخلصين أن يهيىء لهم النجاح في مسعاهم ، وأن يكتب لهم النصر على أعدائهم .

ورجعوا إلى مقارهم فلبسوا أسلحتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا إلى باب الكهوف يقطعون المسافة أمامه ذهوبا وجيئة وهم ينتظرون الأمر بالانقضاض ، وكل منهم يهمس لأخيه : متى سنذهب ؟ لقد تأخرنا اليوم !

ثم دوى في الفضاء صوت جهوري تردد صداه في جنبات الوادي : استعدوا .

فخشعت الأصوات ، وشمل الحاضرين سكون رهيب ، وتراص الجميع في صفوف منتظمة ، ووقف على رأس كل صف ضابط ينادي الجنود بأسمائهم .

ثم برز القائد الأعلى وخطب فيهم يستنهض الهمم ويستحث العزائم فقال : لست أراني في حاجة لأن أذكركم بما يجب على الجندي في الميدان من الاستبسال في القتال ، والحرص على الفوز. لا أملك إلا أن أقول : علينا أن نصل إلى النصر بأي ثمن

فرد الجند من أعماق قلوبهم : إننا — بعون الله تعالى وحسن قيادتك — منتصرون . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وزحف الجند في حذر ، وكانت النجوم لا تزال تؤدي رسالتها في كبد السماء ، ترشد الضال ، وتنير الطريق . وكان البرد قد بلغ النهاية في الشدة ، ولكن الكتيبة ما كانت تقيم له في حسابها وزنا كأن حرارة الإيمان بددت من حولها برودة الطقس

وكان على الجند الزاحف أن يقطع مسافة غير قصيرة ليصل إلى خنادق العدو التي توفرت له فيها أسباب الراحة وألوان النعم ، وكميات من الزاد والذخيرة لا تعد ... ففيها الفرش الوثير ، والطعام الكثير ، والعتاد الوفير ، الذي انثال على اليهود من كبريات دول الغرب .

وحين أصبحوا غير بعيد من مراكز العدو استمعوا إلى القائد يصيح فيهم : تأهبوا للهجوم . فانقسموا إلى أربع فرق ، كل فرقة لا تعدو العشرين ، وإن هي إلا لحظات حتى كانوا يرهفون الحس لتلقي أمر القائد .

ووصلوا إلى المنطقة التي تجب فيها الحيطة ويلزم الحذر ، حيث الألغام المبثوثة ، والأسلاك الشائكة والقنابل المنثورة . ولم يمض إلا قليل حتى دوت أصوات الطلقات في الفضاء ، فعلموا أن الحراس قد أحسوا بهم ، وأنهم يستعدون لقائهم .

وانبطح أفراد الكتيبة على الأرض ، وابتدأت المعركة ، وكانت رعدة من البرد قد سرت في أجسادهم حين افترشوا الأرض ، لكنها لم تلبث أن تبددت عندما حمي الوطيس .

ثم تعالت صيحات الفزع من خنادق الصهيونيين ، وارتفعت أصوات السب واللعن لمن حرمهم لذة التمتع بالنوم في ذلك الوقت الباكر .

وأخذ أفراد الفرق يتقدمون رويداً رويداً زحفاً على البطون ووابل الرصاص يمرق من فوق رءوسهم فلما كانوا على خمسين متراً من مقر الأعداء ، تزايدت الطلقات ، فلم يمنعهم ذلك عن التقدم في العراء .

وقد أطلقوا العنان لأسلحتهم تقذف بنيرانها إلى الخنادق التي لم تتأثر بها كثيراً ، فكانت تصدم بالجدر المتينة ثم تعود من حيث أتت حسيرة ، لأنها لم تبلغ الغاية ، ولم تقم بالمهمة .

ونادى القائد نداءه الصارم : أيها الجنود البواسل ! الكلمة الآن للقنابل ... ليهجم الصف الأول على الخنادق الكامنة إلى اليمين . وأما الثاني والثالث فليقوما بالهجوم على الخنادق في الشمال . وليقف الرابع بالمرصاد ، ليتقدم إلى من هم في حاجة إلى مساعدته .

وبدأت الشمس تنشر أشعتها في صفحة الكون ، فبعث الدفء وخفف حدة البرد ، وتجلى الموقف على حقيقته ، فهاتان قوتان تعتركان : أما أولاهما فهي قوة الظلم والعدوان ، وحوش في زي الإنسان وجائرون في لبوس ذوي الحق الضائع والجناح المهيض . وهم من أجل ذلك يرتعشون فرقاً ، ويرتعدون خوفاً كلما التقوا مع المجاهدين في ميدان ؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة ولا المعاني لمحاربتهم لهؤلاء الوادعين الذين أمنوا في أوطانهم ، واطمأنوا في ديارهم .

أما القوة الثانية فهي قوة الحق تتمثل في هذه الحفنة من الأبطال الذين خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، واستلوا سيوف

العداة ليعاشوا بالذين استباحوا الحرمات ، واعتدوا على الحريات ، وعاثوا فى الأرض فساداً ... إنهم حين يندفعون إلى الأوكار اليهودية ، قد وقر فى نفوسهم ، وارتسم فى أذهانهم تلك الفظائع التى ارتكبها هؤلاء الأشرار من سفك الدماء ، وتقتيل الأبرياء ، وهتك الأعراض ، وتشتيت الأسر ، ويقربطون الحبال ، فتلهب عزائمهم وتمتلىء نفوسهم بالشجاعة والقوة ، ويشعرون بالارتياح فيتقدموا إلى العدو وهم أشد تعطشاً لسفح دمه ثأراً لإخوانهم .

واستطاع جند الكتيبة أن ينفذوا إلى الخنادق ، وفى داخلها نشبت المعركة ، واشتد القتال . فلم يثبت لليهود قدم ، ووجلت قلوبهم ، وارتخت أعضاؤهم ، ولم يكن لهم هم سوى البحث عن الوسيلة للفرار .

ووقف بعض الجنود من كتيبة الإيمان يقتلون من زينت له نفسه الهرب على باب الخندق ، وهم يصيحون من الفرح : أين موسى شرتوك الذى سول له شيطانه أن يفخر برجاله فى العالم أجمع ؟ أهؤلاء هم الرجال الذين هددوا باحتلال الأراضى المقدسة حتى الحدود المصرية ؟. أهؤلاء هم الذين نشروا الخوف وأشاعوا الرعب فى ربوع فلسطين الآمنة ؟. هاهى حصونهم لم تحمهم منا ؟ وها هى أشلاؤهم قد تناثرت حولنا ؟ وها هى أسلحتهم واستعدادتهم لم تحل بيننا وبينهم . إنهم باغون وعلى الباغى تدور الدوائر .

واحتلت الكتيبة خنادق اليهود . وتولتهم الدهشة من عجيب ما رأوا فيها ، فهى مزودة بكل طريف من الكماليات فضلا عن الضروريات : فهذه وسائل التدفئة الحديثة ، وتلك آلات الكهرباء وهذا رياش فاخر ، وذاك معين من المؤونة لا ينضب ، إلى غير ذلك مما لا يدع للشك مجالا فى أنهم كانوا يعتقدون أنهم فى هذه الأماكن مخلدون .

وتراءى لأفراد الكتيبة عظم الفرق بين القوتين وبين الاستعدادين ، كعظم الفرق بين السماء والأرض ... وامتلأت قلوبهم من الحيرة لهزيمة هؤلاء الصهيونيين مع هذا العدد الوفير ، وهذه العدة البالغة ، وأيقنوا أن النصر للقوة المعنوية دائماً ، وللقوة المادية نادراً .

وألقى الجنود نظرات خاطفة على عتاد الأعداء ليحملوا ما هم فى حاجة إليه من متاع وسلاح ، ثم التفوا حول قائدهم ليصغوا إليه وهو يأمرهم بملاحقة الأعداء ومواصلة الهجوم حتى يجتنوا ثمار النصر ناضجة ، فانبسطت الأسارير ، وارتسمت على الشفاه بسمات الفرح بذلك النصر المبين . وتزايد سرورهم حين عرفوا أن عددهم لا ينقصه إلا ثلاثة قد لقوا حتفهم برصاصات صهيونية غادرة .

وتعانق الجميع عناقاً سريعاً حاراً ، تعبيراً عن ابتهاجهم بهذا الفوز الحاسم ، ثم انصاعوا لأمر القائد الذى نادام : إلى الأمام أيها الأصدقاء ؛ فعلينا أن نحتل جميع المراكز القريبة لنتم تطهير المنطقة كلها .

واستبسل اليهود فى الدفاع عن صرا كزم ، ونشطت مدافعهم الثقيلة والخفيفة ، وأطلت فوهاتها من فتحات الخنادق لتقذف الحمم ، وتجاوبت الطلقات ، وتلوت فى أجواز الفضاء مسرعة متوالية كأنها حيات تسعى ، وكانت تزأر زئيراً مفزعاً ، وتدوى دوياً مزعجاً ، لو سمعه من لم يتعوده لطاش عقله ، وفقد السيطرة على أعصابه .

ولكن أفراد الكتيبة كانت قلوبها تخفق خفقات الشجاعة كلما سمعت قصف المدافع ، ورعد القنابل وعصف البنادق ، ولم يفت فى عضدها تلك الانفجارات من حولها ولا ذلك الدوى الذى يصم الآذان .

وأحس الجنود أن ما معهم من العتاد أوشك أن ينفد ، ومع ذلك لم ينكص واحد منهم عن التقدم . ولكن اقتصدوا كثيراً فى إطلاق الرصاص ، وكانوا يسددون إلى الهدف دائماً . وفرغت القنابل ولم يبق لدى الكتيبة سوى عدد لا يفى بالغرض من الطلقات .

وأحس العدو ذلك من فتورهم فى الهجوم ، فقويت روحه ، واجترأ على الخروج من مكمنه ، وواجه أفراد الكتيبة بالعدد والعدة ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ؛ فالتهبت البقاع ، واشتد القتال ... ثم نفدت ذخيرة الكتيبة ، وخمدت مدافعها ، وسكتت بنادقها ، ولكن أحداً من رجالها لم يتزحزح عن موقفه لأنهم يعلمون أن لهم إحدى الحسنيين ، النصر المؤزر أو الفوز بالجنة .

ونادى القائد محمد : إلى الأمام أيها الأبطال ... لا ترهبوا الموت ... إلى الممر فهناك النصر ... لكنه لم يتم كلمته فقد نفذت إلى قلبه رصاصة آثمة ألقته على الأرض ، وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع ... أراد أن يستمهل الموت حتى يؤدى واجبه كاملا لكن الموت لم يمهله ... تقدم خطوتين إلى الأمام زحفاً ولم يقو على الاستمرار ، فعلم أنها آخر لحظاته ، فرمق الجميع بنظرة

عطف وحنان ، وسمعه أقرب الجند إلى مكانه يهمس بكلمات متقطعة وهي منها : « إلى الأمام .. يا أصدقائي خذوا بثأري . لا تهدروا دمي ... تحيا .. » ثم فاضت روحه إلى بارئها تشكو تعسف الصهيونيين ، وتستنجز وعيده فيهم « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ... وأتم الجندي كلمته « تحيا فلسطين » .

ثم تقدم أصدقاؤه لينفذوا خطته ، وهم يعلمون أنه إنما أراد أن يقذف الرعب في قلوب الأعداء بهذا التقدم ، فيفسد عليهم خططهم ، وإن أعقب ذلك موت كثير من رجاله ، فالحرب تضحية .

ثم سمع الجند صوت القائد الجديد يأمرهم أن يثبتوا في أماكنهم ، وأن يفكروا في الانسحاب حتى لا يفجعوا الوطن في حياتهم ؛ فإن الذخيرة قد نفدت ، وإن القائد قد قتل ، وإن التقدم مع كل هذا معناه موت الباقين . وكان مما قاله لهم : قفوا إلى أن تصدر إليكم أوامر أخرى .

واشتدت ضربات اليهود ، وأقاموا ستاراً كثيفاً بمدافعهم الرشاشة لا يتسنى لإنسان معه أن يرفع رأسه إلى أعلى إلا إذا كان في غنى عن حياته .

وطلب القائد إلى الجند أن ينبطحوا على الأرض ، وأن يزحفوا على بطونهم إلى أن يخرجوا من ميدان القتال ويبعدوا عن مرمى قذائفهم .

وكانت جثة قائدهم محمد على عشرة أمتار منهم ، تسبح في بحر من دمائه الزكية ، والتبس الأمر عليهم أيتركون هذا الجدث الطاهر في تلك العصابة الآثمة يمثلون به ؟ أم يعودون إليه ليحملوه معهم وإن سبب لهم هذا العمل المتاعب والمصاعب .

ولم يطل بهم التردد ؛ فقد وقف « سعيد » — وهو جندي من جنود الكتيبة غير البارزين — وأسرع إلى حيث جثم قائده وحاول زملاؤه أن يحولوا بينه وبين ما أراد فلم تجد محاولتهم ... وانحنى سعيد على جثة القائد وحمله بين يديه وهم به أن يرفعه إلى أعلى ، وما هو إلا أن برز صدره حتى ندت عنه صيحة مدوية أعقبتها أنات موجعة ؛ وسقطت الجثة أمامه ؛ فقد سدد إليه الأعداء رصاص بنادقهم فأصابه منها رشاش ، غارت له قواه ، واصطكت أسنانه ، ولكنه ملك زمام شجاعته ، واستجمع قوته وحمل الجثة ثانية ، وأسرع بها إلى قومه وهو يجر رجليه في مشقة بالغة وحين وصل إلى رفاقه سقط أمامهم مغشياً عليه ، تتفجر الدماء غزيرة من جوانبه تخط على رمال الصحراء صفحة المجد الخالد والبطولة النادرة ... وارتسمت على شفتي سعيد بسمة الرضا بما صنع ؛ فقد حال بين جثة قائده وزميله وبين الأعداء أن تعبث بها . وتم انسحاب الكتيبة إلى مكان أمين ، وقد حملوا معهم سعيداً الجريح ، ومحمداً القتيل . ثم التفوا حول سعيد يضمدون جراحه ، وكلهم أسف لما حل به . فلما أفاق توالت عليه الأسئلة ، عن حاله ، وبماذا يحس ، وأجابهم بصوت خافت : إني بخير والحمد لله ... ليست حياتي في خطر ... وليس بي سوى الحزن على محمد القائد البطل ... لقد كتب المسكين إلى أمه أمس ، وأنا الذي أودعت البريد رسالته التي يقول فيها إنني في صحة جيدة .. وإنني سعيد في حربي لهؤلاء الجبناء الأنذال ، وأجد اللذة في الانتصار المتوالي عليهم ... ثم ختم الرسالة بقوله : إنك يا أماه ستفخرين كل الفخر عندما أعود إليك مرفوع الرأس عقب الانتصار النهائي على «بن صهيون» وأقص عليك تفاصيل المعارك التي خضناها ، وسيرة الأبطال الذين اشتركوا معي في هذا الجهاد المقدس » . ثم سالت من عيني سعيد قطرات من الدموع مسحها براحتيه ، والتفت إلى زملائه الذين أحسوا مثل إحساسه وهو يقول : والآن علينا أن ننتقم لمحمد . أليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ فأجابه الجميع في صوت واحد : نعم يا سعيد سننتقم له أشد الانتقام !

قال من نقل إلي هذا الحديث — وهو ممن خاض جميع المعارك مع هذه الكتيبة ، قبل أن تزحف الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، وكان ضابطاً في الجيش برتبة الملازم الأول ، فترك وظيفته وتطوع في جيش الإنقاذ — استرحنا يومين كاملين ، تم فيهما استعدادنا ، وعادت إلينا حيويتنا ، ثم قمنا بهجوم خاطف عنيف على مراكز العدو في تلك البقعة ، واشترك معنا سعيد ، وأبلى فيه بلاء حسناً ، واستشهد وهو ينزل العلم الصهيوني ليرفع مكانه العلم العربي فوق برج المستعمرة .

واحتفلنا بجنازته احتفالا رهيباً ، ودفناه بجوار « محمد القائد البطل » ووضعنا بجوار قبريهما حجراً كبيراً خططنا عليه تاريخ استشهادهما في الهجومين المتواليين ، ليذكر الذين يزورون الأراضي المقدسة تلك الأعمال الحربية العظيمة التي قامت بها الكتائب المتطوعة في تنظيف فلسطين من الوباء الصهيوني .

والآمال كبيرة في الجيوش النظامية ألا تدع صهيونياً واحداً يتنفس هواء تلك البقاع الطاهرة التي روتها دماء المجاهدين الأحرار

ثم انحدرت على وجه صديقي « صدقي » دمعة كبيرة وهو يستنزل الرحمة لزملائه الأبطال .

وهبي اسماعيل حقي
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

مطبعة الرسالة